الجـــمهورية الجزائريـــة

الديمـــقراطيـــةالشعبية

وزارة الـــتعليم العالـــي والبـــحث العلمـــي

جامعـــــة عبد الحميـــــد بن باديس مستغانم

كـــلية العلوم الاجتـــماعية

شعبة فلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

الموسومة بـــــــ:

# فكرة التسامح في الفكر الغربي

## - فولتير أنموذجا-

اشراف الأستاذ:

د.عباس شارف

من إعداد الطالبة:

بن قناب يسمينة

الدكتور: عباس الشارف
" أستاذ فلسفة اللغة وعلم المنطق "
كلية العلوم الاجتماعية – جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكـــــر وعرفان

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"**

رواه الترمذي

العرفان و التسليم لخالقي و ما أنعم علي من قوة لأتم عملي هذا...

الشكر الجزيل لأستاذي و موجهي و مشرفي الأستاذ عباس الشارف..

الذي دعمني بتوجيهاته و فسح لي مجالاً من الحرية للبحث ...

و أهدي جزيل الشكر أيضا...

للسادة الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة ...

نظير تجشمهم وعناء القراءة ...

و التمحيص في ثنايا هذا البحث ...

# إهـــــداء

قال الله تعالى: **" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"**

سورة الإسراء: الآية23

إلـــى أمـــــي و أبـــي كما ربيانـــي صغيـــرا ...

إلى أخوتـــي و أخواتـــي و أهلـــي...

إلى كل من تعلمت منهـــم ...

لكم منـــي ســـائر التحيـــة والمحبـــة...

# مقدمة

إذا ما نظرنا الى التاريخ الإنساني وجدنا أن إحساس الإنسان بجنسه وقوميته أشد من احساسه بإنسانيته، لأن كثيرا من الأحداث التي وقعت في العالم، تبين لنا وبشكل واضح كيف اقحمت المجتمعات البشرية في نزاعات وصراعات مميتة، كالصراعات التي عرفتها الدول الأوروبية والتي دامت قرونا طويلة ، من حروب صليبية(1095-1291) الى حروب دينية بلغت ذروتها في الحرب ثلاثين عاما بين البروتستانت والكاثوليك (1618-1648) ، الى قيام حركات الاصلاح الديني بقيادة كل من لوثر وكالفن ، وقد شهدت البشرية في هذه القرون جل أنواع العنف و التعصب والتطرف الديني، اختلفت دوافعه وغابت العلاقة السوية مع الآخر، وأكيد أن مثل هذه الأزمات احتاجت الى من يداريها ويصلحها وينصفها، ويبدي للمجتمع بحلول تخلصه من الظلم والتعصب، فلم يكن الحل لا في أيدي قادة الدول ولا في أيدي المحاكم والقضاة، وحدهم الفلاسفة من كان بوسعهم إنصاف دماء الأبرياء، لما دعوا الى التسامح الديني بين المذاهب المختلفة، إن التسامح وفقط من له قدرة على تسهيل عملية العبور الى ضفة جميلة يسودها الامن والإستقرار واحترام عقائد الآخرين.

في ظل هذه الأحداث المتأزمة، برزت في الأفق الفلسفة الغربية الحديثة ، أو ما يعرف بفلسفة الأنوار قادها نخبة من الفلاسفة حاولوا الحد من هذه المأساة والأزمات بنشر أفكارهم وأرائهم السياسية والدينية التي تخدم المجتمع وتدعمه نحو التسامح والسلام، و ويعد الفيلسوف التنويري **فرانسوا ماري ارويه** 'François-Marie Arouet' و الملقب **بفولتير** ' Voltaire 'من أهم رواد العقلانية والتنوير، المعروف بدفاعه عن قيمة التسامح ، حيث ركز أغلب معاركه الفكرية في تكريس لقيمة التسامح ونشرها في أوروبا بصفة عامة وفي فرنسا على وجه الخصوص.

وعلى هذا الأساس يتم صياغة الإشكالية الرئيسية التي يتمحور عليها هذا البحث، والتي سنحاول التطرق اليها بشيء من التفصيل، في التساؤل كالآتي :

- ماهي أصول فكرة التسامح في الفكر الغربي؟ وكيف عالج فولتير إشكالية التسامح في فكره الفلسفي؟

وترتب عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية وهي كالآتي :

- ما مفهوم التسامح؟
- ماهي النشأة التاريخية لفكرة التسامح ؟ ومتى تبلورت لأول مرة؟
- كيف عالج فلاسفة الحداثة والتنوير فكرة التسامح؟
- كيف صاغ فولتير مفهوم التسامح بوصفه احد رواد عصر التنوير؟

وللإجابة على هذه التسؤلات، قمنا بهيكلة بحثنا الى فصول، ومباحث ومطالب، معتمدين في ذلك على **المنهج المقارن** و وذلك حين استعرضنا مفهوم التسامح عند كل من العرب والغرب، **والمنهج التاريخي** وذلك من خلال تتبع السياق الفكري والتاريخي لفكرة التسامح منذ ارهاصاتها الأولى في عصور الوسطى الى غاية عصر الانوار مع فولتير، و**المنهج التحليلي النقدي** وقد اعتمدناه بتحليل مصادر ومراجع نصوص فولتير حول فكرته في التسامح.

أما الأسباب التي أدت الى اختياري لهذا الموضوع فقد تنوعت وتعددت .

**اولا:** رغم تنوع مؤلفات فولتير الكثيرة الأدبية وفكرية وثقافية والفلسفية والسياسية المتميزة بطابعها الأدبي والمسرحي، غير أن البعد أو الفكر الفلسفي لفولتير لم يلقى الإهتمام الكافي من الدراسة في أقسام الفلسفة –حيث نجد انه لم يضاهي نفس الإهتمام الكافي لفلسفة جون لوك– إلا نادرا عند التعرض لتاريخ الفكر الأوروبي الحديث، لهذا يأتي اختياري لفولتير كنموذج للحديث عن فكرة التسامح في أوروبا، الزاما له مبرراته، ففولتير هو نجم التنوير في القرن 18م ، ويشهد له ذلك مجموعة من مؤرخي الفكر الأوروبي الحديث و المعاصر، نجد مثلا ول ديورانت يقول عنه " أن فولتير جوهر عصره وروحه ، حيث قال فيكتور هوجو، ان اسم فولتير يصف القرن الثامن عشر كله.

لقد كان لإيطاليا نهضة، ولألمانيا اصلاح، ولكن فرنسا كان لها فولتير فقد كان لبلاده بمثابة نهضة وإصلاح "[*].

**ثانيا:** جدية هذه الدراسة فيما يتعلق بمفهوم التسامح كقيمة أخلاقية وحضارية وثقافية التي تعد المدخل الرئيسي لتحضر المجتمعات، والذي يضمن للبشرية حرية التفكير والقول والاعتقاد، ويضمن ايضا في جعل الحياة الشعوب ممكنة ومتواصلة فيما بينها.

أما الدافع الذاتي الذي كان وراء اختياري لموضوع التسامح كمشروع بحث، هو ميلي للمواضيع ذات البعد الإنساني، علاوة على ذلك كون ان التسامح من الشعارات الإيجابية التي ترفع اليوم لمواجهة ما يعاني منه عصرنا من مواقف تطرف واضطهاد ديني، وعنف ضد الأقليات الدينية، وكذا الرغبة في الاطلاع و التعمق في الفكر الغربي ومعرفة مشوارهم التاريخي الذي تطور من حرب وتعصب، نحو حضارة وحرية، متخذين في ذلك فولتير أنموذجا حيث كان اهتمامه حول الفكر الديني والسياسي عامة.

وعليه كانت اهداف البحث تتمثل في معرفة الأسباب التي أدت بنشوء فكرة التسامح في الغرب وكيف لأوروبا التي كانت اكثر البلدان حروبا ونزاعات دينية وطائفية، اذ بها تصبح واحة للتسامح، ومحاولة بيان دور و مكانة الفيلسوف فولتير في عصر الأنوار من خلال دعوته لفكرة التسامح.

وتكمن أهمية الموضوع في حاجة الإنسانية اليوم —كما في فترات عديدة من تاريخ البشر- الى أسلوب وسلوك يؤدي الى التعايش، وإتاحة فرصة تلاقي وتواصل بين المذاهب والمعتقدات المختلفة .لذى فقد يكون من المناسب التدقيق في مفهوم التسامح واستظهار قيمته من خلال تناول فلسفة التسامح لدى فولتير، والتي تعد نبراسا يبث روح السلام والتسامح لأفراد المجتمع.

[*] -ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون دوي-حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم-، تر:فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت،ط6، 1988، ص250.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا العمل هي صعوبة فهم نصوص فولتير، وذلك بسبب طغيان الإنتاج الأدبي عند فولتير على الإنتاج الفلسفي مما يطرح إشكالية في القراءة والاستنتاج.

ومما تقدم حول الموضوع جاءت هيكلة خطة البحث على شكل مقدمة تمهيدية وفصلين وخاتمة، كانت كالأتي:

**مقدمة:** والتي كانت عبارة عن استهلال للعمل .

**الفصل الأول:** والذي كان تحت عنوان "التسامح من المفهوم الى التاريخ" والمقسم الى ثلاث مباحث، **المبحث الأول** تناولنا فيه مفهوم التسامح لغة واصطلاحا عند كلا من العرب والغرب وبيان الفرق عند كل منهما، وذلك لمعرفة في ما اذ كان هذا المفهوم ذات اصل غربي او عربي ، وفي **المبحث الثاني** قمنا بتتبع تاريخ نشأة فكرة التسامح، و فيه تم الحديث عن المخاض التي تعرض لها التسامح في العصور الوسطى، وكيف كان لهذا المخاض سببا في ولادة فكرة التسامح مع الإصلاح الديني البروتستانتي الذي نشأ هو الأخر بسبب الظروف التاريخية إثر الإنشقاق الكبير الذي شهدته الكنيسة الكاثوليكية أبان القرن السادس عشر الميلادي، و المبحث الثالث سيكون بمثابة مواصلة لتطور فكرة التسامح في كتب ورسائل الفلاسفة متخذين في ذلك كل من فلسفة التسامح عند بيل بايل وجون لوك، ومن أسباب التي دفعتني نحو اختيار بالتحديد هذان الفيلسوفان، أولا: كونهما اول من كتبا عن فكرة التسامح كفلسفة في ثنايا الكتب وجعلوا له مبادىء وحدود، وثانيا من باب بيان أن ما جاء به فولتير في فلسفة التسامح لم يكن من العدم ولا من ابتكاره الخاص حيث انه تأثر بهما اشد تأثرا.

**الفصل الثاني:** والذي كان تحت عنوان "فلسفة التسامح عند فولتير"ومقسم ايضا الى ثلاث مباحث، في **المبحث الاول** عرضنا حياة فولتير الفكرية ، وأهم مؤلفاته التي ساهمت في نشر أفكاره الفلسفية في التسامح، وفي **المبحث الثاني** تحدثنا هنا، كيف أن فولتير ركز أكثر على حرية الإنسان

خاصة حرية العقيدة الدينة وحارب العنف والدين المزيف المختبىء خلف ستار الـــورع لرجـــال الدين، أما في **المبحث الثالث** تطرقنا الى أراء فولتير السياسية، المتميزة بالتهكم والسخرية من طبيعة الوضع السياسي السائد في عهده، وكيف أن فولتير نادى بالتسامح الكوني الذي اعتبـــره ملازمـــا لكينونتنا البشرية الميالة لإرتكاب الأخطاء.

خاتمة : وفي الخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال محاولتنـــا الإجابـــة عـــن الإشكالية.

# **الفصل الأول :** التسامح من المفهوم الى التاريخ

**المبحث الأول :** مفهوم التسامح

**المبحث الثاني:** النشأة التاريخية لفكرة التسامح

**المبحث الثالث :** نماذج من خطابات في التسامح

**تمهيد:**

تعتبر إشكالية مفهوم التسامح من الاشكاليات التي شغلت بال الكثير من الدارسين والبـــاحثين، والتي تسببت في خلق أزمة اختلاف أنماط التفكير مع الأخر وعلاقتنا به. حيث اختلف الباحثون في تحديد مفهوم التسامح وذلك لصعوبة ضبط معانيه ودلالاته، والصعوبة هنا لم تكن من الناحية الدلالة الاصطلاحية المتعلقة بتاريخانية ظهور هذا المصطلح ، بل أن الأمر تجاوز الدلالة الاصطلاحية نحـــو الدلالة اللغوية العامة ، أما من الناحية النشأة التاريخية لفكرة التسامح ، فنجد ان التسامح قد سجل حضوره في العصور الحديثة ، ولكن قبل ذلك مرة التسامح بمحطـــات فـــي التـــاريخ الغربـــي الوسيط، فلم يكن من هين التخلص من التعصب واحلال مكانه التسامح والتحول من جاهلية العصور الوسطى الى العصور الحديثة، بل كان صراعا طاحنا ومعارك وانقسامات واتهامات بالكفر والزندقة وأحكاما بالقتل والحرمان والتعذيب، ولذلك سيكون من المهم الإحاطة بمفهوم التسامح اللغوي والإصطلاحي ، وكذا تتبع تاريخية هذا المصطلح لبناء سياق لغـــوي وتـــاريخي ، الـــذي سيمكنا فيما بعد فهم فلسفة التسامح عند فولتير.

## الفصل الأول: التسامح من المفهوم إلى التاريخ

### المبحث الاول :في معنى التسامح

#### المطلب الاول : معنى التسامح عند العرب:

**لغة:** لم تعرف الثقافات العربية مصطلح التسامح الا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، بواسطة بعض كتاب المسيحيين ومن خلال استقراء لمصطلح التسامح في المعاجم اللغوية تبين لنا ما يلي:

جاء في لسان العرب لابن منظور:معنى (سَمَحَ):السماح، السماحة، وتعني الجود، ويقال أسمح وسمح أي وافقني على المطلوب. وأسمحت الدابة أي انقادت. والمسامحة المساهلة. وفي الحديث الشريف :يقول الله عزوجل :إسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي، والإسماح لغة في السماح بمعنى جاد وأعطى من كرم وسخاء.[1]

ومعنى سمح في المعجم الوسيط: سمحاً، وسماحَة: لان وسهل.ويقال: سمحَ العودُ: استوى وتجرد من العقد. وانقاد بعد استصعاب. وفلان: بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء. ويقال: سمح له بحاجة: يسرها له.[2]

أما بالنسبة لسمير خليل فقد أوضح غياب هذا المفهوم عن اللغة العربية " فالتسامح الذي يعتبر سمة عامة في الفكر الغربي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، وفكرة معاصرة في زماننا

[1] –ابن المنظور، لسان العرب،مجلد2، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.س)،ص489_490.

[2] –مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط.4، 2004 م، ص447.

هذا، هذا التسامح، يبدو في مقام الاول غائبا عن اللغة العربية، وبالتالي، غائبا غيابا طبيعيا عن أنماط التفكير كافة والتي تعمل عبر هذه اللغة."[1]

اما في القرآن الكريم فلم يرد فعل (سمح)ومشتقاته ، ولكن وردت كلمات تعطي المعنى ذاته ، وهي الصفح ،الاحسان ، العفو التي جاءت ضد كل من التعصب والتطرف والعلو. فالدين الإسلام وضع أسس التسامح و ذلك قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. فالتسامح وفق المنظور الإسلامي، فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية ، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، فالإسلام دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وتُرسي دعائم السلام في الأرض ، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم. فالجميع ينحدرون من نفس واحدة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً) الآية (1)سورة النساء.

وهكذا فكلمة التسامح لم تستخدم في ثقافة العربية بمعناها المقابل لكلمة التعصب وإنما استخدمت بمعنى أن التسامح هو خصلة من الخصال الحميدة والفضيلة التي تعني بها التربية الإسلامية، ومعناه العام هو العفو عن المعتدي والصفح عن المسيء. وبعبارة أخرى فإن التسامح نابع من السماحة، وهو اعتراف بثقافة الآخر، وتفاهم جماعي متبادل بين مختلف الفئات والمجتمعات ويعتبر التسامح مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان ، يتضمن الحرية والمساواة.[2]

نستنتج مما تقدم ان جذور الدلالة اللغوية لمفهوم التسامح عند العرب ترتبط بالمجال الخلقي الذي يتسم به الفرد في مجتمعه، وهو مقترن بالجود والعطاء والموافقة والكرم والسخاء، كما انه لا يعني نوع من انواع الضعف والانهزام او المذلة، بل هو صفة محمودة ترفع صاحبها نحو العلو

[1] –سمير خليل واخرون، التسامح بين الشرق والغرب– دراسات في التعايش والقبول بالاخر– تر: ابراهيم العريس،دار الساقي، بيروت–لبنان، ط1، 1992م، ص05.

[2] –صالح شقير وساطع نسيب رضوان: تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد36 ، العدد 5،تاريخ النشر2014/09/30،ص145-146.

والاحترام، ويبدو أيضا من حيث اللغة ان كلمة التسامح هي نفسها التساهل والمقصود منها هو ذلك الخلق الرفيع الذي كلما تزود عبدا به الا وزاده ذلك العزة والاحترام.

**اصطلاحا** : كما ان للتسامح من الناحية الاصطلاحية العديد من التعريفات:

إذا رجعنا لهذا المفهوم اصطلاحا فنجد اندريه لالاند يعرفه : "هو طريقة تصرف شخص يتحمل بالاعتراض اذى مألوف يمس حقوقه الدقيقة، بينما في امكانه رد الأذية"[1]

وأيضا هو"استعداد عقلي، أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه."[2]

ويقول جميل صليبا : "هو ان تترك لكل انسان حرية التعبير عن ارائه وان كانت مضاده لارائك"[3]

ويضيف ايضا "ان يحترم المرء اراء غيره لاعتقاده انها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني ان الحقيقة اغنى من ان تنحل الى عنصر واحد، وان الوصول الى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل انسان بحقه في إبداء رأيه، حتى يؤدي اطلاعنا على مختلف الاراء معرفة الحقيقة الكلية. فليس تسامحنا في ترك الناس وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وارائهم منه نجود بها عليهم ،وأنما هو واجب اخلاقي ناشيء عن احترام الشخصية الانسانية".[4] وبناءعلى ذلك فان تسامح هو تقبل ذاتنا بكلياتها مع الاعتراف بأفكار جانبنا الأخر، فكل اعتقاد شخص منا هو جزء من الحقيقة الجزئية النابعة من الحقيقة الكلية .

[1] –اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل احمد خليل، دار عويدات، بيروت، ط2، 2001،ص 1460

[2]–المرجع نفسه، ص1460

[3] –جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د. ط)، 1982.ص272.

[4] –المرجع نفسه،.ص272.

يتضح مما سبق ان التسامح يقتضي عدم التدخل في شؤون الآخرين ، وترك لهم حرية الإعتقاد والتعبير. فلإختلاف بين الافراد والجماعات حقيقة ملموسة في حاضر البشرية وتاريخها ، لذا لا بد من تقبلها وتجاوز سبل الانقسام الذي يقوم على أساس الرابطة القومية أو العشيرة أو الدين أو الدم وغيرها من الروابط الفكرية والأخلاقية .

**المطلب الثاني :معنى التسامح عند الغرب.**

**لغة:** حملت مفردة التسامح اختلافا في المعنى بين اللغتين العربية والإنجليزية، ويرجع هذا الاختلاف الى جذور كلمة الانجليزية toleration المشتقة من "الجذر اللاتيني tolerare ، والذي يعني التحمل. بمعنى أن الفكرة الأساسية المتضمنة هنا هي التحمل، أوالمعاناة او التعايش مع شيء لا يحب في الحقيقة، أو يمكن أن يعتبر لا أخلاقيا "[1] أي أن المرء جبر على التعامل معه بإيجابية ،والتسامح بهذا المعنى معاناة يتكبدها الشخص في تحمل ما يخالفه في الآخر والتعايش معه على الرغم من انه لا يتحمله في الأصل.وهذا المعنى يختلف عن الجذر العربي للكلمة الذي يتضمن فكرة 'المرونة' وفكرة 'التساهل' في خلاف ما، او التنازل لشخص من الأشخاص عن رأي او احقية.

وقد ظهرت كلمة Tolerance أولا في كتابات الفلاسفة في القرن السابع عشر، أو قل زمن الصراع بين البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية حيث نادي "جان بودان" و "مونتيني" و "اسبينوزا" و "البحث اللاهوتي الفلسفي"، و "روجر وليمز" في رسالتيه "العقيدة الدموية للاضطهاد بسبب الضمير" 1644 و "العقيدة الأكثر دموية" 1652، و "جون ميلتون" و "جون لوك" في كتابة "رسالة في التسامح" 1689 – 1692 [2]وغيرهم، بضرورة التسامح بين المخالفين في الرأي والعقيدة، وحق الاجتهاد، واتخاذ العقل ميزاناً وحكماً.

[1] –سمير خليل واخرون، التسامح بين الشرق والغرب، مرجع سابق ،ص ص6،7 .

[2]–صبري عادل ابراهيم ابراهيم، التسامح فريضة اسلامية،قسم الدراسات والبحوث، شبكة الألوكة،ص07 ،الرابط: http://investigate-islam.com/

ونجد كلمة التسامح في قاموس العلوم الاجتماعية فان مفهوم Tolerance "موقف يتجلى في الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة .فيما يتعلق بالاختلافات السلوك والراي دون الموافقة عليها. حيث يسمح بالتنوع الفكري والعقائدي على لنه يختلف عن التشجيع الفعال للتباين والتنوع .ويقابل التسامح التعصب intolerance". [1]

اما في القاموس الامريكي بانه "تحمل او تدرب على قبول طبيعة ومعتقدات وسلوك الاخرين دون منع او معارضة، سواء اتفق معها او اتختلف"[2]. ومقصود هنا بعدم تدخل في شؤون الاخرين رغم قدرة على ذلك. ويعرفه قاموس ويبستر "احترام آراء ومعتقدات وسلوك الآخرين والاعتراف بها."[3]

ومنه يظهر ان لفظ كلمة التسامح في اللغات الغربية لاسيما الانجليزية والفرنسية ان هذا التعبير (Tolérance) و(Tolérantion ) يراد به بحسب القواميس السماح لشيء ما حدوثه رغم انه بمقدورك ايقاف هذا الشيء ، او ان تتركه يفعل مع انك لا تحب هذا الشيء،مثلا كسماح الدولة بالتدخين والشرب الخمور رغم انها تدرك اذى ذلك.

**اصطلاحا** :أن " كلمة تسامح Tolérance ولدت في القرن السادس عشر من الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت: فقد انتهى الأمر بتساهل الكاثوليك مع البروتستانت، وبالعكس. ثُم صار التسامح يرتجى تجاه جميع الديانات وكل المعتقدات. وفي آخر المطاف ، في القرن التاسع عشر، شمل التسامح الفكر الحر."[4]

[1] –احمد زكي بدوي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية–انجليزي فرنسي– ،مكتبة لبنان ، (د.ط)، 2011،ص426

[2] –محمد بن احمد المفتي، نقد التسامح اليبيرالي، مركز البحوث والبيان، (د.ط)، (د.س)، ص9

[3]– المرجع ، نفسه.

[4] –اندريه لالاند،موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق ، ص 1460

وقدعرف "التسامح عند اللاهوت انه الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين، والتسامح في اصطلاحات (فولتير) وغيره من الفلاسفة القرن الثامن عشر، هو ما يتصف به الإنسان من ظرف، وأنس، وادب، تمكنه من معايشة الناس رغم اختلاف آرائهم عن آرائه [1]".

كما عرف ادموند جوبلو التسامح في كتاب" vocabulaire philosophique ليس التسامح هو التخلي عن معتقدات الخاصة او الامتناع من اضهارها، والدفاع عنها او نشرها، بل هو الامتناع من كل الوسائل العنيفة، او المهيمنة او المؤلمة، وبالجملة، التسامح هو اقتراح الآراء دون السعي الى فرضها على الآخرين."[2]

ويفرق بوسييه في خطاباته بين التسامح وعدم الاكتراث(التساهل) بقوله إن كلمة التسامح تعني أنك لا تعاقب أصحاب الآراء المخالفة لرأيك، ولكننا إذا سمحنا لكل أصحاب المعتقدات صالحها أو طالحها أن يمارسوا آرائهم بحرية، لا يكون ذلك تسامحا انما يكون عدم اكتراث، وعليه فإن المفهوم الاصطلاحي الحديث للتسامح لا يعني اللامبالاة وعدم الاكتراث الدالين على تجاهل الآخر وإهماله، واتخاذ موقف سلبي منه، بل يعني موقفا ذا طابع ايجابي. [3]

على ما يبدوا ان عملية الاتفاق على تعريف واحد للتسامح ليست سهلة ، وربما يرجع ذلك الى تطور المفهوم في التاريخ الإنساني، تبعا للتنوع الحضاري والثقافي، وتطور المجتمعات الانسانية، خلال المراحل والازمنة المتعاقبة، وللحد من اشكالية مفهوم التسامح فإن المادة الأولى من إعلان 'مبادىء حقوق الإنسان' نصت على ان:

[1] -جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،مرجع سابق ،ص 271

[2] -عبد الرحمن البدوي،ملحق موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط1، 1996،ص59.

[3] -علي عباس مراد، فاتن محمد رزاق، التسامح في بعض الحضارات القديمة، كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية بجامعة المستنصرية، مجلة أبحاث العلوم السياسية، المجلد2012، العدد22، 31-31-كانون الأول-2012.ص5.

"إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشـــكال التعبيـــر ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد إنه الوئام في سياق الاختلاف .وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، ،وإنما هو واجب، سياسي وقانوني أيضا ، و التسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب " [1] .

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم2 تشيرين الثاني عام 1981 إعلانا بشأن القضاء على جميع التعصب والتمييز القئمين على أساس الدين أو المعتقد،حيث جاء في المادة الثالثة منه :

"شكل التمييز بين البشر على أساس الدين أو المعتقد إهانة للكرامة الانسانية وإنكارا لمبـــادئ ميثاق الأمم المتحدة ، ويجب أن يشجب بوصفه إنتهاكا لحقوق الانسان ، والواردة

بالتفصيل في العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الانسان ، وبوصفه عقبة في وجه قيام علاقات ودية وسلمية بين الأمم ."[2]

وعليه فإن ممارسة التسامح في اعتقادنا ،لا تعني تقبُل الظلم و التهاون ،بل تعني أن المرء حر فـــي التمسك بمعتقده والآخرون أيضا أحرار في ذلك.

[1] -المادة 1.1 من إعلان المبادئ بشأن التسامح.https://tolerance.tavaana.org/ar/content

[2] -فيوليت داغر، الطائفية وحقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، دار المستقبل العربي بيروت، (د.ط)،1995 ،ص33.

## المبحث الثاني: نشأة التاريخية فكرة التسامح.

يعود تاريخ ميلاد التسامح الى موطنه الأوروبي في سياق الحروب الدينية التي شهدتها أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين. وترجع إرهاصاته التاريخية الأولى الى العصور الوسطى، وهي الحقبة التي اشتعل فيها التطرف الديني والعنف السياسي والإجرامي الذي مارسته محاكم التفتيش آنذاك، وكانت هذه الآثار الإجرامية دافعا رئيسيا في ارتفاع الأصوات المطالبة بالتسامح والتعايش ونبذ العنف والتطرف[1]. وبذلك نحن لا يمكننا فهم الأسس الفكرية والتاريخية لنشأة التسامح ما لم نقف مليا عند أهم التصورات الفكرية التقليدية التي كانت سائدة في العصر الكنسي المسيحي الوسيط.

### المطلب الاول :ارهاصات الأولى لفكرة التسامح(الأسباب).

[1] –هرنون نصيرة ، تحولات معنى مفهوم التسامح من فلاسفة الأنوار الى ميثاق الامم المتحدة ، مجلة المعيار،المجلد 25 ،العدد53،2021،تاريخ النشر 15 /2021/01 ، ص 229 .

ثمة علاقة بين نشوء فكرة التسامح والدور الذي لعبته الكنيسة الكاثوليكية أثناء هيمنتها في العصور الوسطى "التي تعدّ من أهم فترات التاريخ الأوروبي فهي الأساس الذي نستطيع من خلاله فهم التاريخ الحديث لأوروبا"[1]وأيضا الأساس الذي نستطيع من خلاله استعراض الدوافع الأولى لنشوء فكرة التسامح.

لقد عرفت حقبة العصور الوسطى تطورات وتغيرات فكرية عديدة في كامل مجالات الحياة نذكر منها المجال السياسي –الذي لم يكن حديث الساعة بل شهد تطورا من قبل في الحضارات الإغريقية – فبعد ما انتشرت المسيحية كديانة توحيدية انخرطت هي أيضا بميدان السياسة وغيرت مفهوم السياسة وأسندته الى حيزها الخاص ، ومن بين النظريات السياسية التي كانت سائدة في العصور الوسطى النظرية القائلة "بأن الكنيسة لها الهيمنة على الحياة الروحية والدينية، في حين يحكم الإمبراطور في الأرض بتفويض من الله وليس لأي شخص أن يحاسب الإمبراطور حيث يستمد سلطاته من الله "[2] و " للملك الحق في استخدام كافة الوسائل التي يراها مناسبة لنمو ورقي الأمة "[3]، ومنه نجد أن سلطة البابا الدينية قد بلغت أوجها في الهيمنة على ذوي السلطة الإدارية والسياسية ، فقد كان بإستطاعة البابا أن يتوج الملوك وأباطرة أو أن يخلع تيجانهم اذ نازعوه ورفضوا أوامره ، وأن يحرمهم من ميزة القداسة الدينية التي تمنحهم الولاء و استجابة الشعب[4]* ، ولذلك "يجب وضع السلطة المادية للملوك والجنود في خدمة الكنيسة و الانصياع لإشارة الكهنة

[1]– عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار،التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،(د.ط)،1997 م ، ص 9.

[2] –عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية ح.ع.2، دار الفكر العربي ،مدينة النصر،(د.ط)،1999م،ص.10.

[3] –المرجع نفسه ،ص–ص ،10.11

1*–حتى ان البابا جرجوري السابع خلع الامبراطور اللماني هنري الرابع وحرمه ،وأحل اتباعه والامراء من ولائهم له ،فاظط هذا الامبراطور حفاظا على عرشه ان يسعى لاسترضاء البابا سنة 1077 فاجتاز جبال لالب في الشتاء البارد مسافرا الى البابا الذي كان في قلعته بمرتفعات (كانوسا)في (تسكانيا)وظل واقفا في الثلج في فناء القلعة ثلاث ايام ، بلباس الرهبان ،حتى ظفر بعفو البابا ،وحصل على رضاه.انظر عبد الرحمان حبنكة الميداني ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، دار القلم ، دمشق،ط2، 1991م ،ص.51

"[1] ، فبعد ان كانت الكنيسة مكانا للصلاة الربانية ، أصبحت إدارة تامة لها موظفين خاضعين لها ، يكون معيار صلاحهم مرهونا بمقدار ما يقدمونه من الطاعة والخدمة ، لا بمقدار ما يحفظون حدود الله ويستقيمون على منهجه ، والذي لا يخضع لها لن يعرف الحياة السماوية ولن تغفر له ذنوبه ، فالإنسان قد لوثته الخطيئة*[2]منذ نزول أدم الى الأرض ، وللتكفير من هذه الذنوب وجب عليه شراء صكوك الغفران التي تخلصه من جميع تبعات والحقوق التي في ذمته .

نعم! هذه هي تعاليم الكنيسة التي قالت : "دع القيصر للقيصر وما الله لله " [3] هاهي لم تدع ما القيصر للقيصر ولم تجعل ما الله لله ولكنها اغتصبت ذلك كله ،فحكمت رجال الدين وهيمنتهم ، وجعلت منهم طغاة يستغلون السلطة الدينية لتحقيق ما تمليه عليهم أهوائهم وشهواتهم تحت قناع القداسة التي يضيفونها الى أنفسهم ، وجعلت حكمهم من حكم السماء ومن خرج عنه كان مرتدا مهرطقا و "في القانون الكنسي يؤدي جرم الهرطقة الى عقاب واحد ووحيد وهو إلقاء الحرم، أو الإقصاء الكلي من الإتحاد بالكنيسة ، اي الحرمان من الأسرار المقدسة ومن القداس الإلهي ، وصلوات الكنيسة والمنافع والأعياد الكنيسة ، وأخيرا من الدفن في ارض المسيحية "[4]، وقد اصدرت قرارات انذاك تقتضي بإحراق المتهمين بالهرطقة وتولى تطبيق هذه الإجراءات ديوان محاكم التفتيشINQUISITION *[5] ابتداءا من اواخر القرن 12، ومن هنا بدأت المشاكل

---

[1]– محمود سعيد عمران ،حضارة أوروبا في العصور الوسطى ،دارالمعرفة الجامعة، بيروت ،(د.ط)،1998م،ص.29

3*–عقيدة الخطيئة الموروثة: تقوم فكرة هذه العقيدة على أن الله خلق آدم وحواء وجعل معهما شجرة أكلامنها الزوجين ، بإغراء من الحية على حسب ما جاء في كتاب المقدس "فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية اغرتني فأكلت ...تعود الى الارض التي أخذت منها لأنك من تراب والى التراب تعود" .وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين أن الله من صفاته المحبة، ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريقة الخلاص للعالم، لانه العالم من عهد سقوط آدم في خطيئة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله في أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، ثم يصلب ظلماً ليكفّر عن خطيئة البشر.نقلا عن : سفر التكوين الإصحاح 3/3 وانظر ايضا :محمد ابو زهرة ،النصرانية،الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،(د.بلد)،ط.4، 1404،ص.ص129-130.

[3] –خالد البري،الحكمة الضائعة في الدين السياسي،الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية ،العدد 15359،الأربعاء /01/جمادي الاولى /1442ه.

[4]– ج.ويلتر،الهرطقة في المسيحية تاريخ البدع الدينية المسيحية ،تر: جمال سالم ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،(د.ط)، 2007،ص.ص 26-27

[5]*– جاءت كلمة، INQUISITION , الفرنسية والإنكليزية من كلمة INQUISITION , اللاتينية وتعني البحث والتفتيش والتحقيق ، وهي محكمة فوق عادية ، يرأسها أسقف مكلف من البابا دائما لمكافحة الهرطقة بوسائط إجراءات التفتيش والتحقيق. انظر : بسام اسخطيه ، قصة محاكم التفتيش في العالم،دار هبا للنشر والتوزيع،دمشق،ط1، 2000،ص13

تتفاقم ، فرغم قسوة هذه الإجراءات إلا انها زادت الطينة بلة وحجم الهراطقة كان يزداد ووحدة الكنيسة ظلت مهددة، ويبين المؤرخ كالتون في كتابه (خمس قرون من التدين): "انهم كانوا –اي المهرطقين–يختطفون المنشقين عن الديانة المسيحية من أيدي القساوسة الذين يحمونهم"[1]

ومن مظاهر العصور الوسطى " الجانب الحربي الذي طبع بطابع ديني عُرف تاريخيًّا باسم الحروب الصليبية*[2] التي انطلقت من الأراضي الفرنسية في عام 1096 م، واشتركت فيها مختلف طبقات المجتمع في أوروبا... للدفاع عن مُثل دينية عليا، "[3] المتمثلة في حيازة مدينة القدس والأرض المقدسة–فلسطين– وإعتقاد منهم بأن هذا سوف يكسب لهم المغفرة من آثامهم وسوف يدخلهم الجنة ، ولكن الهدف الحقيقي من الحروب الصليبية هو نشر الديانة المسيحية وتوسيع الاراضي الإقليمية للكنيسة.

وعلى هذا الأساس شهد تاريخ العصور الوسطى في فترة حكم الكنسية تصورات مغالية وأفكار متطرفة في تعصبها ودعوتها الى اضطهاد الأديان الأخرى غير المسيحية وإلى استعمال القوة والقمع معها خاصة في عهد القديس اوغسطين*[4] الذي يعتبر أحد أوسع الآباء نفوذا وأعلاهم صوتا ، وارتفعت اقواله من بعده الى مرتبة القداسة ، كما أن نظام الاضطهاد والتعصب كان على يد هذا الرجل ومن الأمثال التي كان ينادي بها لتلاميذه إجبار الأخرين على اعتناق المسيحية كما أنه لا يجب تعاسر بحجج قوية هائجة فيما لا يزال عسير الفهم من كتاب المقدس من تباين وتناقض، فالإيمان بالنسبة له يجب ان يسبق الفهم لذا لا يجوز ان تفهم لكي تؤمن بل يجب عليك ان تؤمن

[1]– المرجع نفسه ،ص27.

4*–الحروب الصليبية : اوحروب الفرنجة او الحملات الصليبية بصفة عامة هي مجموعة من الحملات التي قام بها أوربيون من اواخر القرن 11حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1291–1096)،كانت بشكل رئيسي حروب الفرسان، هدفهم هو الإستيلاء على كتب والأراضي المقدسة، ولذلك كانوا يخيطون على البستهم في الصدر والكتف رمز الصليب من قماش احمر .نقلا عن : الياس الدكار ، حقيقة التسامح الديني بين المسيحية والاسلام–دراسة تحليليةمقارنة–مجلة علوم الاسلامية والحضارة ،العدد02،الجزائر،2019/06/23،ص145.

[3]–عمر عبدالعزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992،.ص06.

1*–القديس اوغسطين : (354–430)لاهوتي وفيلسوف مسيحي واحد كبار آباء الكنيسة ابوه وثني وامه مونيكا مسيحية ، انظر عبد الرحمان البدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1984،1،ص.247.

لكي تفهم[1]، حيث كان لهذا الرجل الأثر البليغ في عرقلة تطور النظر العقلي وتوقف التقدم العلمي[2] ، فالكنيسة لم تقتصر في السيطرة على أمور الدين فقط ، وإنما شملت أيضا الفكر والعلم والمعرفة*[3]،لأن الثقافة كانت محتكرة كليا بين ايديها وكان المتعلمون الوحيدون هم رجال الدين.

هذه بعض الإنحرافات المذهبية أو الطقسية التي شهدتها أوروبا منذ قرابة عشرين قرنا ، فتاريخ الكنيسة مليء بالغموض والظلام والظلم على عكس ما يظنه الكثيرون، ومهما قلت من كلام لن أستطيع أن أوفي كمية الظلم التي كانت تستخدمه الكنيسة ضد رعيتها خاصة الهراطقة ، فالفرد في هذه الفترة وصل الى أسفل الدرجات .

اتسمت عصور الوسطى بالتعصب وعدم تسامحها مع مخالفيها وبالرغم من أن المسحيين طالبوا في وقت ما بالتسامح -ابان قرنين من الزمان فترة الحكم الروماني – "محتجين بأن الإيمان الديني أمر اختيار لا يمكن فرضه على الناس إلا انهم لم يعملوا به فلما اصبح " دينهم هو الدين الغالب على أمره وصار مدعما بسلطان الدولة هجروا مبدأ التسامح هجرانا وجعلوا يمنون أنفسهم بجمع الناس وتوحيد آرائهم توحيدا تاما إزاء مشاكل الكون المبهمة الخفية وبدأوا من فورهم سياسة تتفاوق في الدقة والوضوح وتهدف إلى تقييد التفكير."[4] وأصبح الانقسام الديني بالنسبة لهم

[1] -احمد علي علي عجيبة، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مكتبة المهتدين الاسلامية، طنطا، ط1، 1991م.ص 43.

[2]- المرجع نفسه ، ص44

4*-ومن الشواهد على ذلك يقول برنتن : إن أكثر أصحاب الوظائف العلمية حتى في أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى نوع من أنواع المنظمات الدينية ، وكانوا جزء من الكنيسة ، حيث أن الكنيسة بدرجة لا نكاد نفهمها اليوم تتدخل في كل لون من ألوان النشاط البشري وتوجهها وبخاصة النشاط العقلي » ... « وإذن فقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم في الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية ، فكانت الكنيسة منصة المحاضرة والصحافة والنشر والمكتبة والمدرسة والكلية » ، وكان أصحاب الميول الفلسفية في الدول الرومية ، سواء من رجال الكنيسة أو من المسيحيين العاديين ، متأثرين بتراثهم من الفكر الإغريقي... أما معلوماتها الطبية ، فقد كانت أفضل وأنجح الوسائل العلاجية في نظرها اقامة الطقوس لطرد الشياطين التي تجلب المرض ورسم إشارة الصليب ووضع صور العذراء والقديسين تحت رأس المريض ليشفى ...ومن بين النظريات التي هزت الكنيسة لأول مرة هي نظرية كوبرنيق (103) الفلكية ، فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقول أن الأجرام السماوية كافة تدور حولها.انظر:سفر بن عبد الرحمان الحوالي، العلمانية- نشاتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة-،دار الهجرة ،(د.بلد)،(د.ط)،(د.سنة)،ص ص.150.149.147 .

[4] ج.بيوري، حريةالفكر، تر :محمد عبد العزيز إسحاق، وكالة الصحافة العربية(الناشرون)، الجيزة حمهورية مصر العربية، (د.ط)،(د.س) ، ص45.

خطرا يهدد وحدة الدولة ،لذا فالإضطهاد الديني هو شيء حتمي لابد منه ، والكنيسة المسيحية هي وحدها قادرة على خلاص الإنسان ومن يخالفها فقد فتح على نفسه باب اللعنة الأبدية.

وبناء على ما سبق نستنتج :

إن سقف التسامح في العصور الوسطى قد كان محددا ولا يمكن تجاوزه، ومفاده أنه لا يمكن أن يوجد دين واحد صحيح أو حتى مذهب واحد صحيح داخل مجتمعات الأوروبية،غير الدين المسيحي الكاثوليكي البابوي الروماني الذي يشكل الأغلبية داخل المسيحية[1]،وبالتالي ففكرة التسامح كانت تشكل اللامفكر فيه أو المستبعد التفكير فيه بالنسبة لتلك العصور، والواضح ايضا ، أنّ أوروبّا في العصور الوسطى عاشت تداخلاً بارزاً بين السياسي والديني ، الأمر الذي سمح لها في التحكم وبشكل رئيسي في سير أحداث البلاد الأوروبية ، وقد شهدت فترات مرعبة ساد فيها انعدام التسامح وارتكزت على نقيض التسامح ، أي التعصب الذي أشعل فتيل معظم الحروب الدينة وغذي الاضطهادات الدينية والمواجهات الايديلوجية العنيفة.

كما ونلاحظ ايضا، ان فكرة التسامح ذات أصول دينية بالدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الدينية بين المسيحين وغير المسيحين ، والعهود من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني يولد أو يخلق بفكرة التسامح، اذن فالتسامح اولا وقبل كل شيء ، هو فضيلة مسيحية نتج بسبب مرارة الصراع الديني الذي عاشته أوروبا في العصور الوسطى .

لقد مل الفرد الأوروبي من هذه العيشة ، فإفراط الكنيسة في الظلم و ونهب الأموال وتدخل رجالها في كل كبيرة وصغيرة لدرجة التنقيب عما يعتمل في قلوب الناس التي سترها الله ، الأمر الذي أدى الى تحريك الشعوب ومفكريها في مواجهة هذه السلطة المستبدة القاسية ، وممارسة النقد اللاذع نحوها ، حول أراء رجال الدين المتطرفة وسلوكهم البعيد عن روح التدين ، فكانت نتيجت هذا النقد كشف عيوب الكنيسة وفقدانها للسيطرة على تسيير شؤونها الدينية ، والتحكم في

[1] –هاشم صالح،التسامح والحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مجلة مؤمنون بلا حدود لدراسات وأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة ص.1.

الواقع ، وظهور حركة إصلاحية دينية التي أحدثت إنشقاق بين الكنيسة الشرقية –والتي مقرها القسنطنطنية – عن الكنيسة الغربية– ومقرها بروما – وهذا ما سنحاول شرحه اكثر في المطلب الموالي ..

**المطلب الثاني : الإصلاح الديني وميلاد فكرة التسامح .**

لما كانت الكنيسة وما فرضته من تعاليم وسيطرة في أوروبا من أهم معالم العصور الوسطى ، فإن الخروج عن أفكارها ، يعتبر نقلة من مرحلة الى مرحلة أخرى ، ولذلك يرى البعض ان عصر النهضة الأوروبية هو المرحلة الفاصلة بين التاريخ العصر الوسيط وتاريخ العصر الحديث ، ويعود ذلك بما شمله عصر النهضة من تطورات وتغيرات واسعة في كافة المجالات ، من بينها إنهيار الكنيسة الكاثوليكية بسبب الفساد الذي كانت تعاني منه من طرف رجال الدين الذين كانوا يضعون قدر الانسان تحت رحمة جشعهم وتسلطهم الذي لا يرحم ، بمثابة العامل الرئيسي الذي دفع بالمفكرين الى ضرورة إعادة إصلاح الكنيسة بذاتها على ايدي رجالها*[1] اي تصلح نفسها بنفسها.

1*–وكان من كبار المصلحين: يوحنا روكلن (1900 – 1022 ) وارزم (1977–1999 ) ، أما روكلن فقد آثار بكتاباته وانتقاداته تفكيرالمثقفين وأصبح له اتباع وتلاميد يبحثون في مساويء الكنيسة ، وينتقدون ما تفشى على يد الكنيسة من بدع وخرافات ونجحوا في تهدئة الرأي العام بفكرة الإصلاح الديني ،وأما ارزم ، فقد سعى في تأليب الرأى العام ضد البابوية ومفاسدها بما كان ينشر على الناس من آراء شديدة وأفكار متحررة وأهم عمل أدبي قام به هو نشره ترجمة للكتاب المقدس اليوناني القديم العهد القديم ، وقد كان لهذه الترجمة أثرها في تخليص الفكر الإنساني من سيطرة رجال الدين ، وأوضح أن بها أخطاء في عدة مواضع ، وهكذا ساعد كل منهما على خلق جو من المعارضة للكنيسة وتهيئة الأفكار لتقبل حركة الإصلاح الديني رغم أنهما لم يقصدا الخروج على الكنيسة الكاثوليكية ولكنهما كان يناديان بأن يأتي الإصلاح من داخل الكنيسة نفسها .انظر: عبد الحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر ،مرجع سابق ، ص.ص.84،85.

غير ان هذه الحركة الاصلاحية باءت بالفشل ، لان الكنيسة لم تستجب لها، وعندئذ انتقلت حركة الإصلاح الى المرحلة الثانية ، وهي مرحلة فرض الإصلاح من الخارج والإنفصال عنها وتكوين مذاهب جديدة على يد كل من "لوثر" و"كالفن " [1]

إن بوادر الدعوة الى التسامح كانت قد بدأت منذ منتصف القرن الخامس عشر مع حركة الاصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر*[2] الذي عاش ما بين (1483-1546)، ولأول مرة تتعرض المسيحية للإنشقاق الديني على يد لوثر الذي أراد تقويض سلطان بابا الكنيسة الكاثوليكية ، وأول ما قام به هو مطالبة الطبقة الأعلى من الأكليروس أن تبدي الموافقة لصالح رؤيته ، حتى يصبح الأمر وكأنه إصلاح داخلي، الا أنه فشل في إقناعهم ما دفعه ذلك بإنشاء مؤسسات كنسية منفصلة عن سلطة البابا، ومن ثم وقع الإنفجار وولدت البروتستانتية كحركة دينية إنشقاقية، من رحم الكنيسة الكاثوليكية- العالمية- التي جسدت المسيحية مرارًا حتى صارت كأنها هي، ومن ثم لم يكن غريبًا أن تعتبر البروتستانتية محض هرطق، ومنذ الحادي والثلاثين من أكتوبر عام 1517م لغاية الآن و العالم المسيحي مقسم الى قسمين: قسم مع الإصلاح الديني وهو البروتستانتي وقسم ضده وهو الكاثوليكي.[3]

لم يهدف لوثر إلي هدم الكنيسة الكاثوليكية، ولا تقويض الإيمان المسيحي مثل ما ادعى عليه البابا، بل جدد فهم الدين وقوم إعوجاجه وانحرافاته عن المبادئ الإنجيلية الصحيحة. ولتحقيق

---

[1]- محمد علي محمد عثمان (أستاذ في كلية الآداب .جامعة الزقازيق.مصر)،الحروب الدينية في اوروبا على مشارف العصر الحديث ،مجلة المحور .ص. 104.

[2]- مارتن لوثر : نال شهادة أستاذ في العلوم من جامعة « ايرفورته سنة (1505م ) وبدا يدرس القانون . ثم تحول عنه ودخل ديرة للرهبان الأغسطينيين . ورسم قسيسا سنة (1507م) . ثم عين راعية لكنيسة « فيتنبرج » بألمانيا . زار روما سنة (1510) فساءه الانحلال الروحي المتفشي في الأوساط الكنسية العليا . فأخذ يفكر ويخطط لإصلاح عقيدة الكنيسة وطرق العبادة فيها . وفي سنة (1517م) تحدى « تيتزل الذي كان يبيع صكوك الغفران . واحتجاجا على مفاسد رجال الكنيسة علق على أبواب كنيسة القلعة خمسا وتسعين قضية أثارت غضب السلطات الكنسية . فطلبوا منه سحب احتجاجاته فرفض ، وأعلن مقاومته الصريحة لبعض العقائد المرعية . فأصدر البابا قرار بحرمانه من غفران الكنيسة ، فلما تلقاه « لوثر » أحرقه علانية. انظر:عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، مرجع سابق،ص.37.

[3]- نقلا عن:صالح سالم،(خمسمائة عام على الاصلاح الديني.. مخاض الفردية والقومية والروح الرأسمالية) مجلة شؤون العربية، عدد 173،دون البلد، 6. 03. 2018 .PDF. https://arabaffairsonline.com

ذلك قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية ، فقبل ذلك كانت اللغة الألمانية تعتبر مجـــرد لهجة محلية أو لغة عامية سوقية لا ترتفع إلى مستوى اللغة اللاتينية الثقافية المحترمة. [1]

حيث بلغ إعتقاد المسيحين قبل ان يقوم لوثر بهذه الخطوة المتمثلة فـــي ترجمـــة الكتـــاب المقدس بأن الكنيسة معصومة من الخطأ وذات سلطان إلهي ترعاها روح القدس المرشد والحافظ ، لذا فزعماء الكنيسة يخضعون لقوة الله "والعصمة أيضا لا تفارقهم فهم الوحيدون لهم الحق فـــي شرح الكتاب المقدس" [2] ، وأوهموا الناس أن الكنيسة قادرة على رفع الجهد عن العامة في معرفة وفهم تعاليم الدين غير ان ذلك لم يدم فبعد ان جاء لوثر قلب موازين الكنيسة كلها، وحطمة هيمنة النص الديني الذي كان فائق المركزية وأصبح الكتاب المقدس في متناول العامة بعـــد ان كـــان محتكرا من قبل رجال دين فقط.

لقد كان لوثر جريئا في تصدي للهرطقات الكنيسة المسيحية وهو ما عبر عنه في " الحـــادي والثلاثين من شهر تشيرين الأول /اكتوبر عام 1517،علق لوثر على باب ادارة الجامعة قصر فيتنبرغ قضاياه الخمس والتسعين احتجاجا على صكوك الغفران "[3]ومن الاراء الاساسية التي تضمنتها هـــذه القضايا :

-طلب المؤمن المغفرة من خطياه ، كون من الرب لا من البابا.

-ان من يبيع صكوك الغفران او يشتريها طمعا في الخلاص يعتبر ملعونا.

[1] -نقلا عن: هاشم صالح ، (مارتن لوثروالإصلاح الديني الكبير).مجلة الشرق الأوسط ، العدد ] 14225] ، دون البلد،31،05، 2017. PDF، https://aawsat.com/home/article

[2]- جمال الدين الشرقاوي : الكنيسة وأسرارها السبعة ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة ، ط 1 ، 2008 م ، ص 35

[3] -جوزيف لوكلير ،تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، تر:جورج سليمان ، مراجعة سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ،2009، ص 197.

-ان الكنز الحقيقي للكنيسة هو الانجيل المقدس فقط.[1]

هذه بعض القضايا الأساسية التي دعا اليها الاصلاح الديني البروتستانتي ، حيث اكد لوثر على ان المغفرة يمنحها الله وحده لعباده ولا شفاعة غيره.وبالتالي فالعلاقة بين الله والانسان هي علاقة مباشرة ، ومنه فجميع الوسائط بين العبد وربه مرفوضة فوساطة البابا مرفوضة ،والقداس مرفوضة ، ومريم العذراء مرفوضة ، وغيرها من الوسائط التي ابتدعها رجال الدين الكنيسة،وأكد ايضا على ان الايمان وخلاص الاخروي لا يشترى بالمال وهو مسألة فردية ، و بامكان الانسان نيل هذا الخلاص بالعودة الى الاصول والكتاب المقدس "ولكل احد الحق في فهم الانجيل وقراءته وليس وقفا على الكنيسة"[2] ونبذ كل ما علق بقراءاته من بدع وخرافات من طرف الكاثوليك.

هذا ما حدث في ألمانيا،وانتقلت عدوى الثورة إلى شامل بقاع اوروبا ،حيث تبع الإصلاح اللوثري ،إصلاح في فرنسا على يد اللورد جون كالفن John Kalvin (1509-1564)*[3]،خليفة مارتن لوثر في كونه الرجل اللاهوتي البروتستانتي الذي كان له دور مهم في حركة الاصلاح الديني وتأثير قوي في وضع العقائد الأساسية للبروتستانت،ليس في الصعيد الفرنسي وحسب بل تخطى ذلك نحو البلدان العديدة في العالم.

لقد سار جون كالفن على خطى لوثر في اصلاح الكنيسة ،ونجد انه قد اتفق معه في عدة المبادىء:

---

[1]- بسام جمال،الاصلاح الديني الحديث بأروبا مفهوما ومسارا تاريخا (مقاربة تفهمية نقدية)، مؤمنون بلا حدود،ص.ص4،5

[2]- عبد العزيز الخلق ،دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م،ص278.

3*-جون كالفن :ولد جون كالفن في 10 يوليو 1009 في نويون Nayon في بيكاردى Picardy . وتولى والده Gtcard Calvin مناصب هامة فيويون ، وارسل ابناه ومن بينهم جون ال- بالمدرسة في المدينة حيث ظهر اهتمام جون بالدراسات الدينية . وفي عام 1023 عندمابلغ جون الرابعة عشرة من عمره ارسله والده الى جامعة باريس ، وبعد اتمام دراسته ذهب الى السرب ون Sorbonne حيث بدأ اهتمامه بالانجيل وبالدراسات الدينية . . وبنا على رغبة والدة - ونتيجة لظروفه المالية ذهب جون في عام ١٥٢٨ الى اورليانز Orleans حيث تحول الى دراسة القانون . وفي اورليانز بدة حون يهتم بالحركة الانسانية وفي ١٥٢٩ ذهب الى بورج Bourges لكي يحضر محاضرات احد اساتذة القانون الذي استخدم الطرق الانسانية في تعليمه وكان لاقامته في هذه المدينة اهمية بالغة اذا تعرف على العالم اليونان الألماني Michior Wolmar الذي كانت له ميول لوثرية. انظر: عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ الاوروبي والامريكي الحديث ، مرجع السابق ص186.

1-الايمان بقضاء الله وقدره ، فالله سبحانه وتعالى قد كتب جميع الاعمال التي تصدر عن كل انسان من مولده حتى وفاته فلا سبيل إلى تغيرها .

2-الكتاب المقدس وحده دون سواه هو المرجع الذي يعتمد عليه في جميع المسائل الدينية

3-السيد المسيح وحده هو الذي يشفع للناس لدى الله .

4-التبرير يكون بالايمان وليسوالاعمال

5-الفصل بين الكنيسة و الدولة فلا تتدخل الدولة في شئون الكنيسة. [1]

رغم تأثر الكالفن بأفكار لوثر،واعتناقه لمبادئه،إلا انه لم يكن مجرد مقلد له بل كانت له افكار وأوجه نظر تختلف عن لوثر.ويمكن تلخيصها في نقاط ثلاث:

يعتقد كالفن إن الحاكم السياسي له نوع من القداسة أي حكمه مشرع من الله، لذا يجب عدم التمرد أوالخروج عليه ومن يقدم بفع هذا فهو يخالف بذلك أوامر الله فلا شرعيته له.

الدولة حسبه مهمة لحياة البشر كونها تحافظ على مصالحهم،وتمنعهم من دخول في فوضى.

وكان ضد الملكية لأنها تتحول إلى ديكتاتورية بسهولة لذا هو فضل نظام الحكم الارستقراطي من قبل قلة حكيمة وتفهم مصالح الناس على أن لا يحاول أحدهم أن يتفرد بالقرار.[2]

نستنتج مما تقدم ان :

فكرة التسامح ظهرت تزامنا مع بداية الاصلاح الديني اي في عصر النهضة الاوروبية،حيث استطاعت أوروبا ان تخرج من ظلماتها اللاهوتية وفتواها التكفيرية ومذابحها الطائفية على هذا النحو راحت تدخل رويدا رويدا في مناخ العصور الحديثة .

[1]- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ الاوروبي والامريكي الحديث ،المرجع نفسه.ص187

[2] -محمد بدر، تاريخ الفكر السياسي الغربي، جون كالفن، وكالة الأنباء براثا، 12.07.2020،اخر زيارة للموقع: 7.06.2021،الموقع الإلكتروني: www.http://burathanews.com

إن حركة الصلاح الديني لم تكن موجهة ضد العقيدة الكاثوليكية والممارسات والطقوس، ولكن كانت ضد الحقرة والجور وعدم المساواة، واعتقد انصار حركة الاصلاح الديني انهم بإمكانهم تحقيق المساواة والتسامح والرحمة بين بني البشر لما تقوم الكنيسة بالعمل على نفسها في البحث عن عقيدة صحيحة تكون اكثر توافقا مع حاجات البشر.

اذن فكرة التسامح (وفي ارتباط معها بعدم التسامح )هو رد فعل على الصراعات الدينية لتي عاشتها اوروبا ،وهو وليد لحركة الإصلاح الديني ونشأ ليعبر عن تغيير في عقلية المجتمع الاوروبي واتسم هذا التغيير في علاقة جديدة وهي علاقة الاعتراف المتبادل بين الاديان بالحق في الإختلاف في الإعتقاد، ثم الحرية في التفكير بصفة عامة.

## المبحث الثالث : نماذج من خطابات في التسامح.

بعد الانقسامات التي نتجت عن حركة الاصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر ، هلكت أوروبا بسبب الحرب والعنف الذي تم التحريض عليه بإسم الدين ، والذي بلغ ذروته في الحرب ثلاثين عاما .بعد ان دمرت الحروب الطائفية العديد من المدن والقرى وقضت على مئات الألوف من سكانها ، هنا أدرك العلماء والفلاسفة خطورة عدم التسامح وسعوا الى الحد من هذه القوة الخطيرة عبر إعادة التحقق من جذور التسامح في الإنجيل وإعادة النظر في العلاقة بين المعتقد الديني والسلطة السياسية. ومن بين المفكرين الذين كان لهم الفضل في إرساء مفهوم التسامح وقالوا به نجد كل من : بيربايل (1608-1674)، -وجون لوك(1632-1704).

### المطلب الاول :بير بايل*[1]

يعتبر الفيلسوف الفرنسي" بيير بايل" أحد الفلاسفة الأوائل في العصر الحديث الذي تميز بنزعته شكية متطرفة وإتجاه نقدي لاذع، حيث سعى الى تحرير العقل البشري الأوروبي من ظلمات العصور الوسطى وسلطة الكنيسة الطاغية ومن الفلاسفة الذين دافعوا بوضوح وبشكل مباشر وجريء عن فضيلة التسامح وعن حرية الضمير، وتظهر جرأة بايل من خلال دفاعه عن التسامح الكلي، فهو يرى أنه ليس هناك حل وسط بين التسامح والتعصب، بمعنى أنه إما أن يكون هناك تسامح شامل

[1]* بير بايل : Pierre Bayle(1647_1706)من ابرز الشكاك في اواهر القرن السابع عشر، وكان كتابه قاموس تاريخي ونقدي، شأن كبير في القرن الثامن عشر، واعتبره جيفرسون من أعظم مائة كتاب ينبغي ان يكونوا بمكتبة الكونجرس الأمريكي، ولم يخف فولتير وهيوم وديدرو، اعجابهم به وقلدوه، كان بايل فرنسي الجنسية كاثوليكي مذهب، ولكنه اعتنق الكاليفينة، ثم عاد الى الكاثوليكية، ثم ارتد الى الكاليفنية الامر الذي عرضه للمسائلة وللمشاكلة، انظر: عبد الله الحنفي، موسوعة الفلسفة، ج1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.3، 2010، ص. 266.

لجميع المذاهب والأديان، أو لا يكون. أما نصف التسامح ، أي التسامح مع بعض الجماعات ومنع الجماعات الأخرى منه، فهذا الأمر غير مقبول، وليس من التسامح في شـــيء. وهكـــذا إذ يجـــب التسامح مع الجميع سواء كانوا يهود أو مسلمين أو وثنيين أو ملحدين أو مسيحيين ، فالجميع لـــه الحق في التسامح. وفي هذه النقطة بالذات يتجاوز بيير بايل تصور جون لوك للتسامح، بحيـــث أن لوك لم يكن من منظري التسامح مع الملحدين ومع الجماعات الدينية التي تعلن ولاءها لحاكم آخر غير حاكم الدولة ، يقول جون لوك في رسالته عن التسامح "إن القوم الذين لا يؤمنون باللـــه لـــا يستحقون أن يعاملوا بالتسامح فإن الكافر لا يقيم وزنًا لعهد أو قسم أو ميثاق وتلك الروابط التـــي يتماسك بها المجتمع الإنساني. إن استبعاد الله ولو في الفكر ينقض هذه الروابط نقضًا، هذا فضلا على أن هؤلاء الذين يقوضون بإلحادهم الأديان كلها لا يمكن أن يزعموا أن لهـــم دينًـــا يطلبـــون بمقتضاه حق التسامح"[1]، في حين أن بايل كان يدعوا إلى التسامح حتى مع الملحدين الـــذين لـــا يؤمنون بأي إله.

إن اخطر ما توصل اليه بايل هي فرضيته التي تقوم على انه لا توجد علاقة بين الأخلاق والدين، وكتب بيير بايل عن هذا جملته الشهيرة الساخرة"إن أكبر الآثمين في هذا التاريخ الذين تقشعر من هول جرائمهم الأبدان يؤمنون بوجود إله... وحتى الشيطان نفسه الذي يغوي البشر فيقودهم إلـــى الضلال يؤمن بوجود الله، وبهذا نرى التشابه بين خبث المجرم المؤمن وخبث إبليس؛ فإن كليهما لا ينكران وجوده."[2] ، بعنى اننا قد نلاحظ في الكثير من المرات ان الملحدين قد يكونوا افضل خلقا من المؤمنين وبالتالي فإن الشخص الملحد ممكن أن يكون مواطنا طيبًا وصالحًا.

كما انه قد عرف بنزعته الشكية النقدية اللاذعة،اذ اخضع عددا كبيرا من النظريات اللاهوتيـــة الكاثوليكية القديمة والحديثة الى التحليل النقدي ، موضحا ما فيها من قصور وتناقض،حيث اصدر

[1]- وائل علي نصر الدين،الحاجة الى بير بايل الداعية الى التسامح،اضاءات،28-06-2016، اطلع عليه 31-05-2021،الموقع الإلكتروني https://www.ida2at.com

[2] -المرجع نفسه.

كتابا بعنوان (شرح فلسفي لعبارة منسوبة للمسيح أجبرهم على الدخول)أي اجبار الكنيسة الناس على الدخول للدين وبالأخص الدين الكاثوليكي " وفيه يبرهن على أن المسيح لا يمكن ان يقول هذه العبارة لأنه كان ضد الإكراه في الدين على عكس الكهنة الكاثوليكين وبابوات روما.وبالتالي فالعبارة منسوبة اليه زورا،أو إذا كانت صحيحة ينبغي أن نفسرها بشكل مجازي لا بشكل حرفي."[1] وقد برهن بيل في نفس الكتاب بحجج عقلية عديدة على ضرورة التسامح الديني الشامل ،يقول بيل بايل " لاشيء أدعى إلى جعل العالم مسرحا داميا للاضطهاد والمذابح –من تقرير هذا المبدأ القائل بأن كل المعتقدين بحقيقة دينهم ، يحق لهم أن يبيدوا سائر الأديان . إن هذا يؤدي إلى إرجاع الجنس البشري إلى الحال نفسها التي يتحدث عنها رجال السياسة ، والتي كان فيها كل فرد سيدا وله الحق في كل شيء ، ما دامت لديه القوة للاستيلاء عليه . إن من الواضح أن الدين الحق ، أيا ما كان ، لا يحق له أن يدعي أي امتياز يخول له العنف الديانات الأخرى ، ولا يحق له أن يدعي أن الأفعال التي يرتكبها هو بريئة ، لكنها تكون جرائم إذا ارتكبها الآخرون" [2]

اما في سنة 1681 اصدر بيربايل كتابا بعنوان: نقد عام لتاريخ الكالفنية، يقول فيه "إن من الواضح إن الدين الحق، ايا ماكان، لايحق له ان يدعي اي امتياز يخول له العنف مع الديانات الأخرى، ولا يحق له ان يدعي إن الأفعال التي يرتكبها هو بريئة لكنها تكون جرائم إذا ارتكبها الاخرون، انه عدوان اكيد على حقوق الله أن يريد الإنسان إكراه الضمير"[3]

ونتيجة ذلك ان الدين الحقيقي عند بايل مرتبط بالضمير الانساني اي ان الرابطة تكون بين الانسان ولله قوامها الايمان وصدق الضمير، لذا فإن كل المذاهب الدينية متكافئة وجميعها على حق، كما انه لها الحق في العبادة ما تريد ولا يحق لاي دين مهما كان ان يرى نفسه اعلى من بقية،

[1]– هاشم صالح، التسامح والحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مرج سابق ،ص5.

[2]– هرنون نصيرة،تحولات معنى مفهوم التسامح من فلاسفة الأنوار إلى ميثاق لامم المتحدة، مرجع سابق، ص232

[3]–مهدي النجار، عرض كتاب رسالة في التسامح تأليف جون لوك، تر: عبد الرحمن بدوي، مجلة اراء وافكار، العدد628،الأحد، 26،اذار، 2006.ص12.

او ان ينظر لنفسه بمنظار النقاء والطهارة، ويكفر الآخر المختلف عنه فقط لانه يختلف عن عقيدتنا. لذلك نجد ان بايل قد دافع عن كل الاديان بأخلافاتها وتنوعها وطالب بتعايش فيما بيننا.

لقد دمر بير بايل بمبادئه سلطة االكنيسة الكاثوليكية ،ولولا بيير بايل، الذي أعتبره المؤسس الحقيقي لعصر الأنوار لما انتهى عصر الحروب الدينية في اووربا ، وهذه الشهادة لا اقولها انا ، انما يقولها كل من جاء بعده من معاصرين اللذين لم يخفوا اعجابهم به . نذكر منهم الفيلسوف جون لوك والذي سيكون موضوع بحثنا في المطلب الموالي.

## المطلب الثاني : جون لوك(1704)،(1632م)

جون لوك*[1] الطبيب و الفيلسوف الإنجليزي الذي يعود له الفضل في العديد من الأعمال الفلسفية خاصة في مجال المعرفة والعلم، أما في المجال الديني فتعتبر رسالته في التسامح أهم الأعمال الفلسفية التي راح من خلالها يروج إلى فكرة حرية الضمير الإنساني خاصة فيما يتعلق بالدين، ودعا الى ضرورة التسامح بين المخالفين في الرأي والعقيدة، وحق الإختلاف ، واتخاذ العقل ميزانا وحكماً.

أما السبب الرئيسي لكتابة لوك 'رسالة في التسامح' فهو راجع بسبب المخاض الأليم الذي شهدته أوروبا وبريطانيا، وتحديداً منذ عصر الإصلاح الذي شهد "انقسامات مسيحية وسيطة كانت تطرح مسألة التعدُّدية الدِّينية في الدولة بحدّة غير معهودة، حيث لم تعد الطوائف اللوثرية والزفنغلية والكالفينية والأنجليكانية هي وحدها التي تتصادم في ما بينها ومع الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، بل نشأت في وجهها شيعٌ وحركات دينية مفرطة التشدُّد تهدِّد بدورها مواقف

[1]*- جون لوك : ولد الفيلسوف التجريبي الإنجليزي جون لوك في قرية سومر ست ، في صيف1632 ،واشتهر كفيلسوف حين نشره لمؤلفه المعروف، 'مقال في الفهم البشري ' كما آلف العديد من الرسائل وهي: رسالتان في الحكم المدني، ورسائل في التسامح ،جون دن ،جون لوك مقدمة قصيرة جدا ، تر:فايقة جرجس حنا ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ،د ط، 2012،ص،15-30.

الإصلاح، بل لنقل، باختصار، إنه عالَم من الكنائس والشِّيع التي تطالب بحقوق المواطنية "[1] مع ان كتابات في التسامح انذاك كانت عابرة ومحدودة.

لقد نشر لوك رسالته في التسامح بدون توقيع اسمه خوفا من رد فعل الكنيسة الكاثوليكية الغاضبة، لانه دعا في كتابه الى القضاء على بنية التفكير الأحادي المطلق،وروح التعصب الديني المغلق، وإقامة مبدأ المساواة في حقوق بين جميع الطوائف الدينية، كما لابد من فصل بين مهام دور الكنيسة و الدولة، ونادى الكنائس الى أن تتخذ من التسامح أساسا لحريتها وأن تعلم أن حرية الضمير حق طبيعي لكل إنسان وأنه لا اكراه في الدين بالقانون أو بالقوة.[2]

"ولما كان من حق كل انسان أن يمارس حرية العقيدة الدينية،فإن لوك يرى انه من الحق أن نفصل بين الدين والسياسة.فالسياسة للجميع والدين خاص ، لذلك فليس من سلطة الدولة أن تتدخل في الشؤون الدينية للأفراد.ولكن من ناحية أخرى، يجب ان تواجه بشدة الدعوة الى الإلحاد"[3].وبالتالي فإن جون لوك أسس دعوة صريحة الى ضرورة الفصل بين الدين والدولة.

إن زبدة آراء لوك حول التسامح في رسالته هذه تتلخص في " أنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية ولهذا فإن فن الحكم ينبغي ألا يحمل في طياته أية معرفة عن الدين الحق " [4]، ومعنى ذلك أن التسامح الديني يستلزم ألا يكون للدولة دين لأن الله لم يكلف الدولة بمحاسبة الناس عما يجول في ذواتهم، فالله هو الذي يحاسب عباده. ولم يكلف اي فرد اخر بذلك، وهذا مايجعل الدين شأنا خاصا يرتبط بضمير الفرد ، ثم إن قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل، أي كامنة في باطن الإنسان "والاعتقاد بالمبادىء النظرية لا يمكن تحقيقه بقوة القانون أو السيف أو الإرهاب أو القهر ... ،فالحقيقة لا تجد طريقها الى العقل إلا

[1] –جوزيف لوكلير،تاريخ لتسامح في عصر الإصلاح، مرجع سابق،ص19ـــ20.

[2] –صالح شقير وساطع نسيب رضوان، تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا، مرجع سابق،ص 142.

[3] – فاروق عبد المعطي،جون لوك من فلاسفة النجليز في عصر الحديث،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1 ،1993،ص145.

[4] –جون لوك ، رسالة في التسامح، تر، منى أبو سنة، المجلس ألأعلى للثقافة،إلسكندرية،، ط1 ، 1997 ص7.

بالنور الاقناع العقلي "[1] فالعقل هو الأساس للإيمان والإقتناع بهذه العقيدة او تلك. وتظل الحقيقة النهائية متعالية يملكها الخالق وحده .

لقد اولى لوك العقل أهمية كبيرة في رؤيته الفلسفية الدينية ،حيث اعتبره الركيزة الأساسية لتحقيق التسامح الديني ، فالإعتقاد الديني،او الوحي الإلاهي لا يتم الا بواسطة القدرات المعرفية من حدس وحس وبرهان، فالمعرفة الميتافيزيقية غامضة في نظر لوك، لأنها لا تعتمد على اي مصدر تجريبي فهي غامضة لأنها تتجاوز نطاق الخبرى التجريبية، وبالتالي فلوك يرفض الافكار الفطرية كأساس للمعرفة الإلهية ويتخذ من الوحي الأصلي مصدرا للمعرفة الدينية، ويميزه عن الوحي التقليدي باعتبار ان الوحي الأصلي هو ذلك الجزء من الخقيقة في متناول ملكاتنا الطبيعية بينما الوحي التقليدي فهو انطباع الحقائق على عقل الإنسان.[2] بالتالي فالوحي الإلاهي عند لوك لا يناقض العقل،والتسامح الديني ملازم لضرورة العقلية.

يبدو ان فلسفة التسامح الديني عند لوك ترتكز على الاعتقاد النسبي المحدود بنسبة ملكاتنا العقلية والمعرفية ، ومن ثمة فإن التنوع والتعدد والاختلاف في اعتناق الأديان امر لابد منه وعلينا تقبله والتعايش معه من أجل ان نعيش حياة آمنة وسالمة ،بل ويرى في ذلك "وسيلة لتحاشي الاضطرابات داخل المجتمع. فهو يرى أن الاضطرابات والحروب الأهلية تنتج عن إرادة السلطة في فرض دين واحد أو مذهب واحد على الجميع ومنع بقية المذاهب الأخرى. ويرى جون لوك انه لو سمحت الدولة بعدة مذاهب لنتفت الحروب المذهبية من المجتمع، وبالتالي فالتعددية أفضل من الواحدية أو الأحادية "[3].

[1] -فريال حسن خليفة،الفلسفة والتسامح والبيئة،مكتبة مدبولي ،القاهرة،ط1 ،2006، Books.google.dz.

[2]- مسدورة هيبة: خطاب التسامح في فكر الأنوار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف ، حمادي أنور، جامعة السانية بوهران كلية العلوم الجتماعية والإنسانية، 2011/2010 ،ص ص 104،105.

[3] -هاشم صالح، التسامح والحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مرجع السابق، ص6

يجب على كل من الدولة والكنيسة العمل على تحقيق سعادة المواطنين في المجتمع،وذلك بنشر التسامح والمحبة لأنهما قوتان مستقلتنان تمثل الدولة ترابطا سياسيا خرافيا في حين تمثل الكنيسة ترابطا دينيا حرا يعمل في ظل الدولة[1]، ومن الأفكار المهمة التي تحدث عنها جون لوك في رسالته ان سلطة الحكومة تتحقق في رضا شعبها لها وموافقته، كما انها من واجبها- وذلك متفق عليه منذ أن كان الانسان بدائيا _المحافظة على الحياة والحرية والملكية للفرد، صحيح ان المجتمع ملزم بطاعة للحكومة و بالتنازل عن بعض حقوقه لها، ولكن هذا لا يعطيها الحق التدخل في قناعاتها الشخصية خاصة بالجانب المتعلق بالدين والإيمان، وكل ماهو متعلق روحي في الإنسان ، "ويذهب لوك انه في حالت ما الأمير او اي شخص وارث للحكم، عندما يستخدم سلطته بطريقة تعسفية ضد شعبه وبدون موافقته، عندئذ من حق الشعب ان يدافع عن نفسه ويتمرد عن سلطة الحاكم".[2]

كما يرفض جون لوك الإضطهاد والتعذيب اللذين يمارسهما بعض المتشددين والمتطرفين،يقول في هذا الصدد:"والآن أنا اسأل ضمائر أولئك الذين يضطهدون ويعذبون ويدمرون ويقتلون بحجة الدفاع عن الدين .هل هم يفعلون كل ذلك وقلوبهم مملوءة بالصداقة والطيبة ؟. إذا كان جوابهم بالإيجاب فأنا لن اعترف بذلك الا عندما أرى أولئك المتعصبين الشرسين يقومون أصدقائهم ومعارفهم عندما يعصون قواعد البشارة،وإلا عندما أراهم يحاربون بالنار والسيف أعضاء ملتهم الذين تلوثوا بالرذائل"[3]

ينازع جون لوك بقوة هذا الموقف الجائر لما يحمله من تناقض،فلو أن هؤلاء المتشددين فعلهم هذا حقا يبرر دفاعا عن الدين فكيف تفسر حياة الخبث والغش والرذائل التي يحيونها كما أن تشددهم هذا يتنافى مع تعاليم الإنجيل ،فالحروب التي يخضونها ضد الملل الأخرى ليس لها أي

[1] -عبد المنعم عباس ، جون لوك امام الفلسفة التجريبية،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،(د.ط)،1996، ص119.

[2] -ليود سبنسر، اندرزيجى كروز، اقدم لك عصر التنوير، تر: إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص53

[3]- جون لوك ،رسالة في التسامح ، مرجع سابق ،ص20

مبرر،فلكل فرد حرية في اختيار دينه وليس لشخص بسلطان على شخص آخر حتى يأتي يوم الحسم والفصل،حينها سنعرف من كان على حق ومن كان على باطل.

على رغم من ان لوك يأكد على الحرية الشخصية ،ويفصل بين سلطة الحكومة عن السلطة الدينية،الا انه قد خرق مبدا التسامح العام حين استثنى منه عددا من فئات الناس، فلوك استثنى من التسامح الملحدين والكاثوليك والعقائد التي تتنافي مع الأخلاق الطيبة المفروضة للمحافظة على المجتمع ،يقول جون لوك بهذا الصدد "إن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله لا يستحقون أن يعاملوا بالتسامح ،فإن الكافر لا يقيم وزنا لعهد ولا قسم ولا ميثاق،وتلك الروابط التي يتماسك بها المجتمع الإنساني. إن استبعاد الله ولو في الفكر ينقض هذه الروابط نقضا،هذا فضلا عن أن هؤلاء الذين يقوضون بإلحادهم الأديان كلها لا يمكن ان يزعموا أن لهم دينا يطالبون بمقتضاه بحق التسامح ."[1]

وهكذا ترك لوك اثاره على جو التنوير والتسامح الديني في اوروبا ، فلولا مساهمات أمثال جون لوك الجريئة والمتنورة لطال عمر الإضطهاد ولتأخر امتداد التسامح طويلا،وعلى سبيل الخلاصة العامة، نجد أن جون لوك أسس لمفهوم علماني محض ،لأنه قدم للأفراد كامل الحرية في تسيير وتقرير شؤونهم الدينية الخاصة، وجاءبمرحلة تقوم على التمييز الكامل والدقيق بين مَهامِّ السلطة الدينية والسلطة المدنية، كما أنه أقر بأن حرية الضمير هي حق طبيعي لكل إنسان.

هذا بإختصار افكار الفلسفة التسامحية لكل من جون لوك وبيربايل التي ساهمت في بلورة فكرة التسامح عند الغرب ، ولقد كان فولتير ثمرة جهد هذين الفيلسوفين ، حيث قام هو الأخر بمواصلة الطريق في الدفاع على المظلمين و نشر فكرة التسامح بين المجتمعات.

[1] ج.بيوري، حرية الفكر، مرجع سابق ،ص84

# الفصل الثـــــــــــــــــاني: فلسفة التسامح عند فولتير

**المبحث الأول :** الخلفية الفكرية لفلسفة فولتير

**المبحث الثاني :** فولتير بين سلطة دين والحرية

**المبحث الثالث:** التسامح الكوني ضد التعصب لدى فولتير

**تمهيد:**

عرف القرن الثامن عشر بعصر التنوير، وهو العصر الذي حدثت فيه تغيرات ، اقتصادية وفكرية، واجتماعية، وسياسية ضخمة،كما و ظهرت فيه فئة من الفلاسفة المثقفة و المفكرين الذين احترفوا الكتابة والصحافة والمناظرة والنقد القوي بين بعضهم البعض، ودعوا بعضهم -وربما جلهم- الى روح العقل الجديد والتسامح ونبذ الحروب لتحقيق الرقي والتقدم الإنساني.ومن بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير فرانسوا ماريو اروية الملقب بفولتير، الذي تميز بنثره الفرنسي ، والذي يعتبر"واحد من مؤسسي حركة الانوار الكبرى وقد ظل حتى وفاته ، فقد عمل فولتير على ترويج الأفكار الجديدة ونشرها بحماسة فائقة وإن مؤلفاته وحياته يعكسان بوجه عام كامل مراحل عصر الأنوار،فهو الوجه المحوري لهذه الحقبة الفريدة والبارزة في تاريخ البشر."[1]

وعليه في هذا الفصل سنتناول أولا حياته من منطلق محيطه البيئي والإجتماعي ،والمصادر الفكرية التي ساهمت في بلورة الفكر الفلسفي لدى فولتير ،ثم كيف انه حارب التعصب الديني في بلاده، وفي الأخير سنتطرق لفلسفته في كتابه رسالة في التسامح.

[1]- هاشم صالح ،،مدخل الى التنوير الأوروبي ، مرجع سابق ص236.

## الفصل الثاني: فلسفة التسامح عند فولتير

### المبحث الأول : الخلفية الفكرية لفلسفة فولتير.

أولا وقبل اي شيء لابد من معرفة ظاهرة الحياة التي عاشها فولتير، لأنه وكما نعلم وراء كل فيلسوف واقع معاش ، هذا الواقع الذي سيكون حافز الأول في خلق عقلية الفكرية للفيلسوف.

#### المطلب الاول :حياته ومؤلفاته.

**أ)-حياته:** يعتبر الفيلسوف الفرنسي فرنسوا ماري آروويه أحد قامات عصر التنوير الذي ساهم بدور كبير في بلورة فكر عصر الأنوار، وكان له الأثر البالغ على أوروبا بصفة عامة وعلى المجتمع الفرنسي بصفة خاصة، و أهم فكرة ناد بها فولتير هي نزع المطلقية على الحاكم وحصر سلطاته وتقيديها، فهوا يرى أن دور الحاكم هو أن لا يتدخل إلا في ما يضمن السلم المدني،والمحافظة على الخيرات وتنميتها، ومنح الناس حرية الإعتقاد فالدين من وجهة نظر فولتير أمر يخص الفرد وحده[1] فهو عبارة عن علاقة سطحية بين الإنسان وربه.

ولد فولتير (Voltaire Marie François ) عام 1694، كان من أسرة برجوازية فرنسية ثرية ينحدر أبوه من أسرة تجارية ، وأمه من أسرة نبيلة ، اسمه الحقيقي فرنسوا ماريه آرويه، واكتسب لقبه (فولتير) من اسم أرض ورثها.وبفضل المكانة المادية والفكرية التي كان يبلغها ،تحصل على عمل مستشارا في القصر الملكي ،فكانت له علاقات مع القصر الملكي والحاشية الملكية،غير انه زج في السجن اكثر من مرة آخرها بسبب مشادة مع أحد الفسان ،ولم يسمح له بالخروج من السجن إلا بشرط نفيه الى انجلترا،وكانت هذه الخطوة في حياة فولتير نعمة،فبسببها فتحت أمامه الأبواب لدخول عالم جديد بات يلتقي بشخصيات اجتماعية وسياسية وثقافية بارزة ومؤثرة،وبعد اتمامه لمدة نفيه قرر العودة الى باريس مؤلفا كتاب (رسائل فلسفية) فرغم انه قام

[1]- شروق قصاص وآخرون، مقال :فولتير فيلسوف عصر التنوير الاشهر،اعلام ومفكرون،الباحثون السوريون،تاريخ النشر31-01-2016،تاريخ الزيارة 11-06-2021، على الرابط التالي: https://www.syr-res.com/article/9080.html

بنشره سرا إلا ان الكتاب تسبب له بحرمانه مرة أخرى من دخول الى باريس لمدة عام ،ليعود بعدها قاطعا على نفسه العهد بالعزلة.ولكن شهرة فولتيرذاعت في الخارج واصبح الطلب عليه من قبل الأمراء والحكام في مراسلته كثر.فبدأ فريدريك بروسيا بمراسلته وجعل منه أستاذه .وعندما وقع فولتير مريضا وطلب منه تقديم اعترافه الديني رفض ذلك واضعا اعترفه الشخص الذي يقول فيه(أموت معتقدا بالله كارها الاضطهاد أشد الكره) مات سنة1778م.[1]

لقد كان فولتير رجل موسوعي، واسع العلم متنوع الثقافة، فهو يمتلك عقل راجح يتطلع لكل علوم من رياضيات الى فلك وطبيعة، وكمياء وجغرافيا وعلم أحياء وعلم نفس وتاريخ وفنون جميلة وتطبيقية، والأخلاق وسياسة، فقد كان يتعلم من كل شيء ويجرب كل شيء،وكان يقوم بكل هذا بذهن كامل الحرية والتجرد، بعيد عن كل الأفكار المسبقة الدينية او ميتافيزيقية، فهو يؤمن بأنه ليس لنا إلا معبود واحد يجب اتباعه وهو العقل[2].

**ب)-مولفاته :** كان فولتير أديب في كتابة الشعر والقصص، وكان يعرض أفكاره الفلسفية عن طريق كتابة الروايات والمسرح "ولا يسعنا أن نكتب في تاريخ المسرح ، أو تاريخ الرواية،أو تاريخ الفلسفة بدون أن نأتي على ذكر فولتير. غير أنه مع ذلك يدين بعظمته التاريخية الفعلية للدور الذي لعبه كواحد من أبرز الوجود العامة في فرنسا ما قبل الثورة،ونادرا من نجد كتابا سخروا مثله نشاطهم الأدبي ،في شتى الميادين ، لخدمة أهداف ذات طبيعة اجتماعية .فآثار فولتير تكاد برمتها مساهمة في النضال الاجتماعي"[3] ،حيث شملت مصادر مؤلفاته عديد من الروايات نذكر بعض منها:

- **اديب(1718)**

[1] -عبد الرضا حسن الطعان،علي عباس مراد،وآخرون،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور،دار الروافد الثقافية الناشرون، بيروت-لبنان،ط1، 2015،ص.461

[2] -مصطفى النشار ، فلاسفة ايقضوا العالم، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهدرة ، (د.ط)، 19988ص233.

[3] -فولغين ،فلسفة الانوار، تر: هنريت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط.1، 2006،ىص24-25

- **زائير(1732)**
- **محمد (1736).**
- **الثور الأبيض(1744).**
- **الأبيض والأسود(1746).**
- **زاديج أو القدر(1748).**
- **صادق(1749).**
- **ميكروميجاس وثلاث قصص(1752).**
- **كانديد : (1759 )** أو المتفائل ، هي رواية من صنف الحكاية الفلسفية، نشرت في جونيف في منتصف عصر التنوير بقلم فولتير، يحمل كتاب المتفائل هدفا فلسفيا متعلقا بظروف الإجتماعية التي كانت سائد في القرن الثامن عشر ، اذ يستذكر فيه فولتير حالة المجتمع ويظهر كيف يمكن ان يفسد وضعه، وكيف يتجلى هذا فساد على افراده نحو ضمائرهم وسلوكهم ،ينتقد فولتير ايضا السلطة والحكم القائم والوضع الديني داخل المجتمع ويظهر من خلال التوافق او التناقض بين الوعي والعقل والواقع المعيشي.
- **الساذج(1766).**

هذه فقط جزء قليل من روايات فولتير الفلسفية التي تجاوزت المائتين وستين مؤلفا، حيث نالت قصصه إعجاب المتلقين، لما ما تحمله من خيال وظفه قصد سخريته ونقده للمؤسسات الرسمية والدينية والسياسية والإجتماعية، فتجد في كل قصة من قصصه يحكي عن موضوع فلسفي معين وأحيانا يجمع في مسرحياته مجموعة من القضايا افلسفية، وتكون فيها أبطاله من فئات اجتماعية مختلفة، يعيشون حياة متوترة فمرة الحياة تنعمهم بقدرها وتكافئهم من كل خير ، ومرة تخيب امالهم فيتعسون وتجازيهم من كل شر.

-أما عن الكتب الفلسفية:

- **رسائل فلسفية: نشر سنة 1733م**، "نشر الكتاب الرسائل الفلسفية السيايسية النقدية الشعرية المهرطقة الشيطانية ، اذ استخدمنا العنوان الممتد الذي اطلقه فولتير بمرح عن الكتاب الملعون الذي اجبره على ترك باريس والإتجاه الى سيري"[1]يتحدث فولتير في هذا الكتاب نظام انجلترا السائد و"لقد استخدم النموذج الإنجليزي للهجوم على النظام الفرنسي..وصفت رسائل فولتير بأنها أول قنبلة تلقى على نظام القديم،وظهرت طبعات خفية في فرنسا،وصدر الأمر باعتقال فولتير،وأحرق الكتاب رسميا وحرم بيعه مطلقا".[2] ورغم هذا واصل فولتير كفاحه الفكري التنويري الذي ورثه عن جون لوك حتى وافته المنية سنة 1778 ، فساهم فيما بعد في تغيير الأوضاع في فرنسا ، كأحد أبرز الفلاسفة الذين نظروا للثورة الفرنسية.
- **رسالة في التسامح: (1763م)** تعتبر من أهم النصوص الحديثة –من بعد جون لوك- التي تحدثت عن فكرة التسامح ضد أشكال التعصب الديني الذي عاشته أوروبا المسيحية وفرنسا تحديدا بين عامي 1562م و1598م.والرسالة تحتوي على أربعة وعشرين فصلا يدافع فيها فولتير عن التسامح بين الاديان ضد كل اشكال التعصب والخرافة.ويتحدث الكتاب من واقعة مؤلمة حدثت في أرض فرنسا تم فيها إعدام رجل بريء على الدولاب بسبب الصراع بين البروتستانت والكاثوليك،وينتهي الكتاب بدعوة فولتير الى ضرورة التشريع لمفهوم التسامح الكوني ، إذ تعد الرسالة بمثابة نداء فلسفي لوضع حد لحروب الأديان.
- **القاموس الفلسفي: 1764** (DICIONARIO FILOSOFIC ) وهو عبارة عن ناموس يجمع الكثير من القضايا والمواضيع المتنوعة في مجال قيم التسامح و موضوعاته بروح فلسفية وصبغة واقعية ، وتحليل موضوعي يحاول فيه فولتير تسطير مخرج لأزمة الإنسان من خلال الدعوة للقيم التسامح والحرية بروح أدبية نقدية وبابعاد فلسفية كونية . فهذا القاموس

[1]- فولتير، رسائل فلسفية، تر: عادل زعتر، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2014.ص13.

[2] –اندرزيجي كروز وليود سبنسر ، أقدم لك عصر التنوير،مرجع سابق ،ص،45.

يحمل من جملة حمولاته و موضوعاته نقد فولتير للمسيحية ودعوته للسلام و لهدم الأفكـــار الميتافيزيقية الهدامة.[1]

**المطلب الثاني : مصادره الفكرية.**

لقد ساهم في تكوين عقلية فولتير الفكرية والفلسفية مجموعة من الأحداث ، إذ كان أصل ذا أصل برجوازي ورغم ان هذا الأصل كان مُرضيا للكثيرين إلا انه لم يكن مرضيا لصاحبه، فقد كان يحرمه من إمتيازات عديدة التي كانت مقصورة في تلك الفترة على طبقة النبلاء العليا[2]، مما كـــان مصدرا للقلق والإضطراب للإنسان في مثل طبيعته ويمكن القول أن هذه الخطوة الأولى التي دفعت فولتير نحو التنمرد على قوانين الحكومة الفرنسية الغير العادلة وأصبح فولتير يطمح الى تحقيق شيء واحد وهو الارتقاء ومرافقة عليا للقوم.

لقد أُعجب فولتير بنظام الحكم في انجلترا لما نفي فيه حيث تحول العقاب الـــى مكافـــأة، فكتب إلى أحد أصدقائه: " هنا فى إنجلترا يمكن للإنسان أن يستخدم عقله بدون خوف أو تـــذلل. هنا يوجد شعب مستقل ومتحضر، ثار على نظام الحكم القديم. فلا يوجد سجن الباســـتيل، ولـــا يوجد إضطهاد ديني. "[3] فالحرية الفرد مضمونة من قبل السلطات ولا يمكن أحد ان يعاقب بـــدون محكمة وقضاء ولكل شخص حق التعبيركما يريد.

ادرك فولتير منذ البداية وقبل نفيه الى انكلترا ، ان الفرد الذي يعيش في فرنسا عليه ان يختار إما أن يعيش كسندان فيحتمل ، أو يعيش كمطرقة فيضرب، ولأن فولتير ينتمي الى الفئة الأولى من الناس التي قضي عليها هذا الأمر منذ الولادة، ترانا نلتمس في كتاباته افكار جديدة تدفع قراءها نحو

[1]– وفاء برتيمة، أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 26،مارس 2018،ص508

[2] –أندريه كريستون، فولتير حياته آثاره فلسفته، تر، صباح محي الدين، منشورات عويدات،بيروت، باريس، ط2 ، 1984 ، ص ص 10.

[3]– محمد زكريا توفيق، فولتير رائد من رواد فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر، الحوار المتمدن–العدد: 3202 - 2010 / 12 / 1 - 18:49،اطلع عليه يوم 09-06-2021،الرابط الإلكتروني: https://www.ahewar.org/deba

النزعة الثورية التحررية للغد، وقد ساعدته إقامة في انكلترا على توسيع أفقه الإجتماعي والسياسي والفلسفي ، وكانت له فرصة التعرف الى واقع يختلف كل الاختلاف عن الوضع المعاش في فرنسا.[1]

لقد عاب فولتير على الوضع التي كانت تعيش فيه فرنسا ودعى الملوك والحكام ان يترفعوا ويتثقفوا ويطالعوا على ما وصلت اليه البلدان المجاورة من تنوير ومرونة في الحكم ،يقول فولتير في هذا صدد :" لقد كان طابع التنوير في فرنسا اكثر تطرفا وكان هداما اكثر مما كان في انجلترا بسبب عدم مرونة نظام الحكم القديم . فلقد كان معظم الحكام في الكنيسة والدولة ضيقى الأفق ، ومتعسفين، وفاسدين، وغير أكفاء ، ولم يجدوا طريقة لإصلاح اشكال الظلم التي كانت تعاني منها الطبقات المتوسطة ، ولم يخففوا الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه طبقات الشعب ، التي كانت اكثر بؤسا مما كان موجودا في انجلترا"[2]

كان فولتير ، في مجال السياسة ، يتمنى لفرنسا الحريات التي كان الإنجليز من الطبقات المتوسطة بتمتعون بها . ولم يعتقد ، فيما يبدو أنه يجب تقليد شكل الحكومة و لكنه كان يأمل بالأحرى في أن يحكم البلد ، بفاعلية ونية حسنة ، حكومة ملكية مستنيرة.[3]لقد كانت اعمال وكتابات ونضالات فولتير متبناة من طينة فلسفة التسامح السياسية لجون لوك، وأكيد انه ليس من قبيل الصدفة أن يكتب جون لوك سنة 1689،ثم فولتير سنة 1763 كتاب يحمل نفس العنوان وهو 'رسالة في التسامح' (Traite sur la tolérance)، انه مثل لوك، لما تبنى افكاره حول "الحرية والتسامح وظل طوال حياته يهاجم كل تعصب وخاصة الديني منه وينادي بالحرية".[4]

[1]- ف.فولغين، فلسفة الانوار، مرجع سابق ، ص،25-26

[2]- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة تر:محمود سيد أحمد،التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ط1، 2010،ص234.

[3] - المرجع نفسه، ص-ص233 .234.

[4] -فاروق عبد المعطي ، جون لوك من فلاسفة الإنجليزفي العصر الحديث، مرجع سابق ص15.

تأثر فولتير أيضا بعالم الكبير نيوتن، خاصة عندما عاش في منفاه بإنجلترا ،حيث قرأ له وأُعجب بأفكاره لدرجة انه عمل على تقديمها لمجتمعه الفرنسي ، فقام بتخصيص فصل في كتابه رسائل فلسفية يتحدث فيه عن" أراء نيوتن العلمية –المتافيزيقية التي عززت نزعة التأليه الطبيعي التي نقلها فولتير .وأن الله صنع العالم من مادة ازلية." [1]

ومن أعلام الفلسفة الفرنسية الذي عاصر فولتير والذي اثر عليه نجد الفيلسوف روسو*[2]، واللذان كانا من أهم فلاسفة الأنوار وإن اختلفا في بعض الأفكار، إلا ان أفكارهما وأطروحتهما حول مختلف القضايا السياسية والفكرية و الإجتماعية و الدينية، غذيا الفكر التحرري والديمقراطي الذي ايقض نار الثورة الفرنسية " وهكذا أبدت الطبقة البروجوازية الغنية أسلوب فولتير العقلي ومذهب روسو، فقد دعا الأول الى التخلص من الخرافات والتقاليد البالية، وهاجم الثاني القوانين والمدنية، ودعا الى العودة الى الطبيعة. لقد كان من الضروري حل قيود العادات القديمة والتقاليد والعرف التجديد وتنشيط الشعور والفكر، بتفتيح العقول للتجربة والتغيير تمهيدا للثورة الفرنسية "[3]، فقد اشتهر كل من روسو وفولتير بسبب محاول كل منهما مقاومة التزمت الديني، وسلطة الكنيسة، وكل مظاهر الاستبداد والتسلط، ومن هنا نفهم سر الانشغال الفلسفي لمفهوم التسامح الانساني الذي أخذ يسيطر على خطاب فوتير.

وقد ذكر عن لويس السادس عشر في سجنه بعد ان رأى نتيجة أعمال كل فولتير وروسو، انه سبب سقوط النظام الملكي في فرنسا قد كان بسبب هذان الرجلان،وقال نابليون ان الملوك كان بإمكانهم البقاء في حكم لو قاموا بالسيطرة على الأقلام والفلاسفة، فالكتب حسب فولتير هي من

[1] –وليم كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره ،ص233

[2]*– روسو: أديب وفيلسوف فرنسي صاحب نظرية العقد االجتماعي التي تعد من أهم مؤلفاته إضافة إلى كتابه إميل ،. رحيم ابو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج2،دار المحجة البيضاء، بيروت ،لبنان، ط1 ،2003 ، ص22.

[3] –ول ديورانت، قصة فلسفة من افلاطون الى جون دوي–حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم ، تر : فتح الله المشعشع، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6، 1988،ص251

تحكم العالم ،ولا شيء يقضي على العبودية غير التعليم والتقدم ، فعندمايتبدأ الشعب في القراءة والتعلم والتفكير لن يقف في وجهه أي شيء، وبفضل فولتير انتعش التفكير في فرنسا[1].

**المبحث الثاني : فولتير بين السلطة الدين و الحرية .**

**المطلب الأول:فولتير ضد خرافات الدين الكاثوليك.**

لقد كان فولتير المغيث والمدافع على المظلومين والمضطهدين دينيا وسياسيا ، وعلى الرغم من كونه من أصول كاثوليكية إلا ان ذلك لم يمنعه من محاربة أهل بلدته من اجل تحقيق السلام للأقلية البروتستانتية،" ولهذا السبب أصبح اسمه رمزا يستنجد به الناس في كل مكان في العالم...وللتسامح أو التعايش السلمي بين الأديان والمذاهب المختلفة راح فولتير يدعو ويكتب مؤلفاته الواحد بعد الأخر... وربما لهذا السبب أهداه نيتشه أحد كتبه قائلا : إلى فولتير ، أحد كبار محرري الروح البشرية . بل لم يكتف بالكتابة والتنظير ، وإنما نزل إلى ساحة المعركة مدافعا عن كل المضطهدين لسبب عقائدي أو فكري ... ودشن بذلك أسلوبا جديدا للمثقف المنخرط في القضايا العامة ، المثقف الذي لا يقف مكتوف الأيدي أمام الفظائع التي ترتكب باسم الدين ..."[2] فمع ان فولتير كان عن غنى من فعل كل ذلك كونه كان من اصحاب الرجال البرجوازيين الا انه لم يتقبل السكوت عن الحقرة والجرائم التي كانت ترتكبها الكنيسة في بلاده.

استطاع فولتير بقلمه ان يؤلف العديد من الرسائل الحرة الموقعة باسماء مستعارة ،خشية على نفسه من ان يلقى نفس مصير الموت الذي كان يحدث لكل من يقف في وجه الكنيسة

[1]–ول ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع نفسه ،ص251

[2] –هاشم صالح، مدخل الى التنوير الأوروبي،مرجع سابق ، 2005، ص215

الكاثوليكية، حيث كانت رسائله بمثابة مدفع الذي قام بتحطيم جميع خرافات وأساطير حكومة الكنيسة، وتم هذا التحطيم اولا من خلال دعوته الى التسامح بين جميع الشعب و اللأجناس المختلفة، وثانية من خلال دعوته الى الحرية وخاصة حرية العقيدة ،لأن الكنيسة الكاثوليكية كانت متحالفة مع الحكومة الفرنسية ،وكانت ترغم كلا من الحكومة والشعب على التعصب وايذاء غير الكاثوليك.[1]

فإذا كان الكاثولكيون المسيحيين يعتبرون"أن عدم الإعتقاد بالدين المهيمن...يمثل جريمة،فإنهم يدينون بذلك آباءهم من المسيحيين الأوائل عندما كانوا لا يزالون أقلية في الأمبراطورية الرومانية"[2] فالمعروف أن الكنيسة قد عانت في القرنيين الثاني والثالث من الإضطهادات الرومان،ولم تتحسن أحوالهم إلا خلال حكم الإمبراطور قسطنطين الأول عندما اعتنق الدين المسيحي، ومنذ ذلك الوقت انقلبت حياة المسيحين من قهر وظلم الى عفو ومسامحة، ومع ان المسيحين قد شربوا في يوما ما من كأس الإضطهاد والقهر لم يكفوا عن التصرف بالتعصب ازاء الملل الأخرى وقاموا بمعاملة المذاهب المخالفة بنفس القسوة والتعصب الذي عاشوه.

إن كل الأديان الأخرى محرفة ما عدا المذهب الكاثوليكي البابوي الروماني الأصلي فهو منزل من عند الله، وهنا يفترض فولتير و إن كان كلامهم صحيحا فهل ينبغي أن يمارس دين الله بهذه الطريقة التي يعتمدونها؟عن طريق الحقد والتعصب والإرهاب والتعذيب؟ أكيد الإجابة ستكون بالسلب،لأن كلما كان الدين إلهيا فسيكون الإله وحده من له القدرة على دعمه وحمايته، والإنسان محظور أن يتحكم به،كما أن التعصب يولد المنافقين والمتمردبين في الدين"[3] فالدخول للدين يكون بالإقناع وليس بالإكراه.

[1] –سلامة موسى، هؤلاء علموني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة (د.ط)، (د.س)، ص22–23.

[2] –هاشم صالح، مدخل الى التنوير الأوروبي،المرجع سابق،ص.216.

[3] –المرجع نفسه.

لقد كان فولتير يعتقد ان من مهام الفيلسوف نقد الكتب المقدسة ،الأمر الذي جعله يحلل المصادر التاريخية للمذهب المسيحي ويقيم مقارنات فيما بينها وكان يكشف عن تناقضات المنطقية الملازمة للمذهب المسيحي ،حيث يبرز فولتير في أحد تأملاته الفلسفية فضائح ومخازي الكتاب المقدس، عبر عنها بقوله"كم من جرائم ارتكبت بإسم الرب!...يا إلهي لو نزلت بنفسك على الأرض، وأمرتني بالإيمان بهذا الخليط من سفك الدماء ، وفسق ، والقتل ، والزنا بالمحارم، وكلها ارتكبت بناء على أمرك وباسمك،لقلت لك،كلا،إن قداستك لا تريد مني أن أوافق على هذه الأمور الفظيعة التي تهينك،ولا بد انك تريد امتحاني"[1]

كانت معركة فولتير طوال حياته ضد الأطيل والخرافات و الأحكام المسبقة باسم الدين المخبأة خلف ستار الورع والتقوى.وفي باطنها العبث بالمسيحية وتعصب الأعمى للدين،وصل الى الحد لم يعد معه ممكنا الاستمرار فيه خوفا من دمار أرض أوروبا وفنائها، وكان يتهم الكتاب المقدس الإنجيل بأنه محرف لصالح من يهمه تحريفه، وأثناء تحليله للكتب المقدسة – وهي التوراة والإنجيل – اكتشف عدة تناقضات من بينها:

ان الكتب المقدسة محرفة وليس لها اي صلة بالدقة والصحة، فمثلا "كيف يمكن الإعتقاد بأن كان لديه ما يكتب به في الصحراء ، حيث لا يوجد حتى أشجار ينقش عليها!زد على ذلك ان كاتب اسفار موسى يقول بأنه يكتب من وراء الأردن، في حين ان موسى لم يدخل أرض الميعاد أبدا، كما ان ثمة مواقع ومدن أطلقت عليها ، في النص ، أسماء لم تعرف بها الا بعد موت موسى بوقت طويل"[2].وبالتالي كل هذه التناقضات تهدي بنا الى نتيجة واحدة دون غيرها ان من كتاب التوراة هو كتاب من صنع الإنسان وليس من صنع الله، وكل ما كتب في هذا الكتاب هدفه هو مصادرة العقل والحريات بغطاءالديني .

[1] –عبد الرحمان البدوي ، موسوعة الفلسفة،ج2 ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1984،ص206

[2]– أندريه كريستون،فولتير حياته واثاره، مرجع سابق، ص 48

أما بالنسبة لكتب الإنجيل والتي هي بين ايدي النصارى اليوم فهي اربعة أناجيل، انجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا، والتي لم يكتبها نبينا المسيح عيسى عليه السلام وانما كتبها هؤلاء بعد وفاته بمائة عام. والتساؤل الذي تعرض له فولتير هنا إن كانت ما تعتبره الكنيسة من هذه الاناجيل حقيقي "فما سر قبول بعض الأناجيل ورفض بعضها الأخر؟ وبالاضافة الى ذلك فان الأناجيل الأربعة لا تتفق فيما بينها على نسب المسيح ولا على أحداث طفولته ولا على معجزاته ولا على أقواله . فكيف يمكن اذن اعتبارها جميعا صالحة وذات قيمة ؟ !"[1] وعليه فإن نصوص التوراة والإنجيل بعيدة كل البعد عن ما له صلة او علاقة بالمنطقية العقلية والمسار التاريخي.

فولتير هو ابن بيئته مسيحية كاثوليكية ، لذا كان على علم بكل تفاصيل احوالها وأدق اسرارها، وبعد ان تطرق الى كل جوانبها التاريخية والسياسية والعقائدية، كره مذهبه الكاثوليكي المسيحي في عصره، أولا بسبب إتباعه للخرافات والاباطيل والأحكام المسبقة الدينية التي تعد الأكثر تنافيا مع العقل، وينتهي بالقول أن هذه الخرافات والأساطير من صنع القساوسة والكهنة ، وثانيا بسبب تعصبها واضطهادها للهراطقة وكل من يخالف تعاليمها، فما كان الا ان يتوجه فولتير في الأخير الى سبيل واحد و وحيد هو ان يتوجه الى الله من أجل ان يحقق السلام للبشرية فيقول "لم أعد إلى البشر أتوجه ، بل إليك يا رب جميع الكائنات والعوالم والأزمان... أنت يا من رسم كل شيء ويا من قضاؤك ثابت سرمدي ، فهو أن تتلطف وتنظر بعين الرحمة والشفقة إلى الأخطاء والضلالات المترتبة على طبيعتنا ، ولا تسمح بأن تكون هذه الأخطاء والضلالات سبب هلاكنا..، ولا أياد كي نذبح بعضنا بعضا...أو بين لغاتنا التي هي سواء عن عدم اكتمالها ، أو بين عادتنا السخيفة ، أو بين قوانيننا التي تشكو من ألف علة وعلة ، أو بين آرائنا المغلوطة"[2]حيث تعتبر هذه الصلاة الى الله اخر ما كتبه فولتير في كتابه رسالة في التسامح.

**المطلب الثاني: الحرية الدينية والايمان لدى فولتير**

[1] –مصطفى النشار ، فلاسفة ايقظوا العالم، مرجع سابق ، ص239

[2] –فولتير، رسالة في التسامح،تر:هنريت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009 ص169

يعتبر فولتير من أكثر الشخصيات المدافعة عن حرية الفكر فنجد انه تناول العديد من الدراسات والموضوعات التي كرسها بغية تحقيق احترام والكرامة والحرية للإنسانية، فقد كتب يقول بهذا الصدد "إن الحرية تتمثل في ألا يخضع المرء إلا للقوانين" [1] بمعنى انه من حق الفرد في اعتناق ما يشاء،من أفكار دينية أوغير دينية ، مثلا في معتقد ان الله موجود أو عدم وجوده،أو معتقدات ملحدة.

إن أخطر ما تبتلى به الشعوب أن يتحد الدين مع الإستبداد، وتعاقد الحكام الطغاة مع رجال الدين ،بحيث يجتمع كل منهما من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية، "وقد رأى فولتير أن وجود الكنيسة ورجال الدين يعد أهم معوقات تقدم الانسان نحو العقلانية،فالتسامح والعدالة ينبعان من الطبيعة، في حي ينبع التعصب المسبب لعدم التسامح من الخرافات والأساطير الدينية ، وأن وضع حد لعدم التسامح والوحشية يرتبط ارتباطا وثيقا بإخضاع رجال الدين للدولة بدلا من استمرار الكنيسة في ممارساتها الراسخة في استخدام الدولة بوصفها وكيل ينوب عنها في ممارسة التعصب والوحشية.ولاصلاح الأوضاع فلا بد من تعديل القوانين حتى يتم فصل الكنيسة ومصالحها عن الدولة وصالحها".[2] وبالتالي فإن النظام السياسي الذي يقوم بربط الدين مع السياسة هو نظام فاشل وسيكون ظالم للمجتمع .

صحيح أن فولتير هاجم القساوسة والكهنة لكن لا يجب أن نفترض من ذلك انه ملحد، فقد رفض الإلحاد رفضا باتا،في احد رسائله لديدرو يقول فولتير: اعترف بأنني لا أوافق ساندرسون الذي انكر الله لأنه فاقد البصر، وقد اكون على خطأ ولكني لو كنت في مكانه لاعترفت بوجود عقل كبير عوضني الكثير عن فقدان بصري كالعقل والادراك والتأمل والعلاقات العجيبة التي تربط جميع الاشياء ،وانا مشتاق جدا لرؤيتك والتحدث معك مهما كنت.فأنت جزء هام من ذلك الكل

[1] –فولغين، فلسفة الانوار،مرجع سابق ، ص33

[2] – محمد بن أحمد المفتي ، نقد التسامح البيرالي ، مرجع سابق ص26

العظيم الذي لا أفهمه. [1] وإن كان فولتير ملحدا من خلال نظرة أفراد عصره، إلا انه قد اتخذ من الدين أداة للتعبير عن أفكاره مكنته من دحض ما كان سائدا في عصره .

كان فولتير ربوبي المذهب يؤمن بوجود إله عظيم ، فيقول "إن كلمة الإلهي هي الوصف الوحيد الذي يجب أن يتصف به الإنسان،والكتاب الوحيد الذي يجب أن يقرأ هو كتاب الطبيعة،والديانة الوحيدة هي أن نعبد الله،وأن يكون لنا شرف وأمانة ،وهذه الديانة الصافية الخالدة لن تكون سببا للأذى "[2]بمعنى انه يجب ان نكون إلاهيين قبل أي شيء،وأن نعبد الله فإن قمنا بذلك لن نسبب أي مشاكل او الم لبعضنا البعض.ويقول ايضا"اعبد السماء وكن عادلا"[3]

أما الحجة النظرية الرئيسية التي كان يحاجج بها فولتير في دفاعه عن وجود الله كانت تتمثل في "بنية هذا العالم العقلانية. فبما أن العالم آلة رائعة، فإنه يفترض وجود عقل خارق.ولكن إن كنا لا نستطيع أن نتصور العالم بدون الله،فإننا أيضا، ومن المنظور فولتير،لا نستطيع ان نتصور الله بدون العالم،أن الله سرمدي وخالد،والعالم كذلك.والمهندس السرمدي يخلق على الدوار.وما العالم الا الإشعاع الأبدي المنبثق عنه وقوانين الوجود التي صاغها الله وأعطانا اياها ثابتة لا تتحول.فلا يسع الله بعد ان سن قوانين الطبيعة ،أن يتدخل في كل خطوة من خطوات مسار الأحداث،والا كان كما يصحح نفسه باستمرار."[4]والواضح من هذا أن فولتير ذو نزعة التأليه الطبيعي بإمتياز.

كان لفولتير موقف نقدي واضح ضد الكنيسة الكاثوليكية وضد كل عقيدة لا تعرف التسامح وتضع الإيمان فوق العقل "ورأى أن هذا الدين قد صدرت عنه تقاليد وعقائد آمن الناس بها وهي لا تتصل بالفضيلة ولا تمت للعلاقة القائمة بين الناس بسبب من الأسباب،ومن هنا كانت حملاته على الدين الذي نزل به الوحي وتبشيره بالدين الطبيعي دين العقل الذي يدفع الضمير الى الشعور بوجود

[1] –ول ديورانت ،قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، المرجع السابق، ص29

[2] –سلامة موسى ،هؤلاء علموني، مرجع سابق، ص23.

[3] –مراد وهبة ، مدخل الى التنوير ،دار العالم الثالث،مصر،ط1، 1994،ص39.

[4] –ف.فولغين،فلسفة الأنوار،مرجع سابق، ،ص27.

كائن أعلى يحثنا على مزاولة الفضيلة دوما."[1] إن الدين في حد نفسه قد وجد" ليجعلنا سعدا في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.ما المطلوب كي نكون سعداء في الآخرة ؟أن نكون صالحين .وما العمل كي نكون سعداء في هذه الدنيا في حدود ما يسمح به البؤس طبيعتنا ؟ أن نكون متسامحين [2] ،فالدين الحق جاء لهداية الناس وإنارة طريقهم، لا لنشر التعصب والظلم.

**المبحث الثالث: التسامح الكوني كبديل للتعصب عند فولتير.**

**المطلب الأول: التسامح في روايات فولتير .**

لقد شهدت الرواية في القرن الثامن عشر تطورات في الأسلوب والمحتوى، وهي عبارة عن عمل نثري خيالي يسرد مغامرات أو تطور شخصية أو عدة شخصيات من القرن الثامن عشر، و كان فولتير من فئة رجال الأدب الفلسفي، حيث أثر على مسرح الوطني الفرنسي عن طريق رواياته المسرحية التراجيدية، مثل مسرحية زائير عام 1732، ومسرحية محمد عام 1741، وكانديد 1759 التي لاقت كلها نجاحًا باهرا، حيث استخدم فيها فولتير قوة الخيال مع عرض قسما كبيرا من الواقع النفسي الاجتماعي لأوروبا، أي انه قام بدمج الخيال مع الواقعية الإجتماعية للمجتمع لفرنسي، حيث أثرت كتابات فولتير على القراء بشكل كبير وألهمتهم للتفكير في تفجير ثورة ضد إجرام الكنيسة .

[1] –محمد بن احمد المفتي،تسامح اليبرالي ، ص25.

[2] –فولتير،رسالة في التسامح، مصدرسابق ، ص 159

نجد ان فكرة التسامح عند فولتير قد مرت بمحطات كثيرة في مؤلفاته وهي عبارة عن مجموعة من الروايات متسلسلة الأحداث تحكي عن معركته في الدفاع عن التسامح ونبذه للتعصب، وتعتبر رواية كانديد أحدى الروايات التي كان لها أثرا كبير في تطوير فكرة التسامح عند فولتير، وقد ترجمت الى عدة لغات العالم، تتجسد في هذه الرواية روح السخرية من ثقافة التعصب والرغبة في العيش تحت سقف التسامح المنشود بين الأخرين، وتعتبر رواية كانديد نموذجا لفلسفة التنوير في كل أرجاء أوروبا حيث تدور احداث هذه الرواية حول البطل الشاب كانديد الذي ولد وكبر في "قصر بارون ويستفالي تحت إشراف الفيلسوف بانغلوس الذي كان يعلمه أن كل شيء يسير نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة " [1] وأن الفرح هو الأصل ولا وجود للحزن ونجد ان فولتير قد جعل من "بنغلوس" بطلا يمثل التفائل وهو يقصد بذلك الفيلسوف ليبنتز، الذي نشر مبدأ التفاؤل في العصر الذي ولد فيه فولتير .

تبدأ تأزم القصة عندما يعلم البارون ان كانديد قد أحب ابنته " الجميلة كونيغوند ، فضرب بالعصا بسبب ذلك وطرد من القصر. ثم انخرط رغم أنفه في جيش البلغار ، ولكنه ما لبث أن هرب إلى هولندا حيث التقى بمعلمه الفيلسوف بانغلوس الذي كان في حالة سيئة جدا، أعلمه بانغلوس أن القصر احترق بكامله وان البارون وزوجته وابنه وابنته قتلوا كلهم، ثم توجه الاثنان نحو لشبونة حيث شاهدا الزلزال المدمر" [2] والذي مات فيه الكثير، ومن اجل التكفير عن الخطيئة وحتى لا يتكرر الزلزال قررت محكمة التفتيش حرق بعض الكافرين والمرتدين عن الدين المسيحي ، وسرعان ما حكما على كل كانديد وبانغلوس بالإعدام بسبب أفكار بانغلوس .

نجا كانديد من الموت ولم يستعد قواه بعد اثرى الحادث الذي تعرض له في لشبونة، وحادثة قتل معلمه بانغلوس،" لكنه اتبع العجوز الى كوخ، فأعطته مرهما كي يفرك به جسمه،

[1]– فولتير، كانديد أو التفائل، تر:آنا ماريا شقير، دار مكتبة الهلال ودار البحار،بيروت، ط1، 2005ص 16

[2]– فولتير، كانديد أو التفائل،المصدر نفسه ، ص16.

وطعاما وشرابا وأرته سريرا صغيرا نظيفا جدا ، وكان يوجد قربه لباس كامل."[1] إندهش كانديد من عطف واهتمام السية العجوز، التي اعتنت به ووفرت له كل سبل الراحة، وبعد ان استرجع قواه اخذته الى قرية تبعد حوالي ميل لبيت صغير معزول وتركته فيه ورحلت، ثم عادت اليه ومعها امرأة كبيرة القامة، والصدفة الأكبر أن تلك المرأة كانت حبيبته كونيغوند.

وتنتهي الرواية عندما يدرك كانديد في النهاية ان العمل أكثر نفعا من النظر الفارغ، وتلخص الكلمة الأخيرة في رواية فلسفة فولتير"يجب ان نزرع حديقتنا،هذا يعني ان الفلسفة الماورائيات عاجزة عن تحل المسائل التي يطرحها الانسان حول وجوده، وانه بالعمل وحده بستطيع الانسان ان يجد السعادة."[2]

نرى أن فولتير قد حاول تضمين في قصة المغامرة والحب لكانديد شيئا من الأحداث التاريخية الرهيبة التي كانت وحيا لتأليف هذه الرواية وأهم هذه الأحداث نشر ليبنيز لكتابه Monadology، وهي رسالة منطقية طويلة تنتهي بقوله "إن كل شيء هو أحسن ما يكون في أحسن ما يمكن من العوالم [3]وأن الشرور مفيدة وضرورية لخير أعظم ولعالم أجمل، وانه مهما حدث من شيء في حياتن فهو للأحسن، وان هذا العالم الذي نعيش فيه هو أفضل العوالم الممكنة، لأن الله هو الخير المطلق حتى مع وقع بعض الكوراث كالزلازل والفيضانات والأمراض والحروب والتعصب الديني وغيرها من الكوارث والأمور التي نراها شرا.

لكن بالنسبة لشخص مثل فولتير لا يمكنه الموافقة على هذا القول، ورفض تفاؤل ليبنتز، مؤكداً على أن العالم حافل بالشرور فهو يرى الظلم والاستبداد والقهر والتعصب الديني، وحرب السنين السبع التي انهت حياة عشرات الالاف من البشر، بجانب الكوارث الطبيعية مثل "زلزال الذي أصاب لشبونة في يوم عيد كل القديسيين عام 1755 كان له تأثير عاطفي عليه، ومع أن التقديرات

[1] -المصدر نفسه، ص72.

[2] -المصدر نفسه ، ص8

[3]- ولد ديورانت ، قصة الفلسفة ، المرجع السابق،ص280

الأولية لعدد الضحايا كان مبالغا فيه، فان آلاف الأرواح قد فقدت في الموجة المدية وفي الحرائق التي أعقبت الزلزال، التي كانت أكثر شؤما، لان الكنائس مع شموعها احترقت وانهارت فوق جميع المتعبدين فيها"[1]، ومن غير المنطق الإقتناع بمبدا التفائل في وسط كل هذه الحروب ومصائب والكوارث ، ففولتير ينكر التفائل الأعمى المطلق الذي يجعل الناس ترضى بأي شيء رغم انه من الممكن اصلاح الوضع.

هاجم فولتير في روايته كانديد التفائل وذلك من خلال ذكره لكل الشرور التي عاشها كانديد في هذه الرواية، فكل ما اراده كانديد هو العيش بسعادة مع حبيبته كونيغوند لكنه سرعان ما تورط وإصطدم بواقع مرير يجعله يتشرد في مدن الارض ويذوق كل عذابات الحروب والماسي والكوارث الطبيعية وضرب على قفاه واخرج من القصر، وهذا دليل على ان الخير والشر متضاربان في الحياة ، فالحب بالرغم من انه سلوك خير انعكس برجوعه شرا، الامر الذي دفع بفولتير تبادل الرسائل حول معضلة الشر لأن البشر يبحثون عن منافعهم الشخصية.كما ان الصراع الذي تبلور روائيا في كانديد فولتير، عكس بامانة الصراع الذي تورطنا به نحن البشر جميعا من الحروب والصراعات دموية والخيانة والكذب والعبودية والظلم والتعصب الديني والعنف والرعب والكوارث الطبيعية ، وفولتير لم يكن يريد أكثر من الاصلاح و الخروج من هذا الصراع والأزمة الإنسانية وذلك عن طريق نشر التسامح والدفاع عنه.

إن الصراع الدرامي لكانديد بين الخير والشر الذي صوره فولتير يعكس معنى مهم، والذي هو ان الدين المسيحي الذي يدعوا الى الخير قد أدى الى الشر وهو التعصب الديني، وايضا الشر أي تعصب ادى الى الخير الا وهو ظهور فكرة التسامح ، لذا كان فولتير دائما يقوم بتنبيه معاصريه ، أن يفتحوا اعينهم على واقعهم التاريخي والاقتصادي ، والدعوة لمقاومة جل انواع الشرور والرذائل

[1] –جعفر حسن الشكرجي، التفائل والتشائم عند فلاسفة عصر التنوير، كلية الأداب، جامعة بابل، 6/15/2011، اطلع عليه يوم : 2021/07/07 ،موقع الالكتروني www.uobabylon.edu .

وشن ثورة ضد كل نظام سياسي يقوم بربط الدين والسياسة، وأفكاره هذه ساهمت في ذلك باندلاع الثورة الفرنسية .

**المطلب الثاني : التسامح الكوني في فلسفة فولتير.**

يعتبر كتاب رسالة في التسامح المرجع الأول والكلي لفهم فلسفة التسامح لفولتير حيث فضح فولتير في هذا الكتاب كل المجازر و الجرائم البشعة التي كانت الكنيسة الكاثوليكية تقوم بها ضد الهراطقة والديانات المخالفة. وتعتبر رواية موجزة لمصرع جان كلاس، ذلك هو عنوان الأول من رسالة التسامح لفولتير، وبدوري سأوجز الحكاية المأساة.فبسبب هذه الحادثة انقلب فولتير من رجل ساخر غير مبالي ،الى شخص جدي غاضب. فما هي حكاية كلاس؟

جان كالاس رجل بروتستانتي فرنسي والبالغ من العمر رابعة وستين سنة ، يقطن في تولوز في الجنوب الفرنسي –حيث عرفت منطقة تولوز*[1] بالصراع العنيف بين البروتستانت والكاثوليك-كان له ابن يدعى بمارك انطوان،شاب خريج كلية قانون لم يحالفه حظ في تحصل على وظيفة كونه بروتستانيا،الأمر الذي دفعه الى تغيير عقيدته الى الكاثوليكية، وفي أحد الأيام تم عثور على مارك ميتا في الطابق العلوي من المنزل ومن هنا بدأت المشاكل وترددت الشائعات بأن والده هو من قام بقتله ،لأنه لم يتحمل فكرة ان ابنه قد ارتد عن دينه البروتستانتي واعتنق الدين الكاثوليكي،تم زج جان كلاس الى السجن وعذب بوحشية، حيث تم وضعه على صليب وبإحدى عشرة ضربة من قضيب حديدي هشم الجلاد أطرافه ،وبعد ساعات من التعذيب والألم تم شنقه،ثم شالوا جثمانه وأحرقوه، وذلك في العاشر من مارس عام 1762م، وصادرت الدولة ممتلكاته، واختفت زوجته وابنه الصغير وأرسلت ابنتاه الى ديرين مختلفين، وفّر ابنه الثاني دونات الى جنيف طلبا للنجاة.[2]

[1]* -تولوز، العاصمة السابقة لمقاطعة اللانغدوك الواقعة في جنوب غرب فرنسا، وقد تأسست فيها في العام 1229 رهبانية الآباء الدومينيكانيين وجامعة لاهوتية بهدف محاربة الهرطقة، انظر: فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق ص9.

[2] -نقلا عن: فولتير، رسالة في التسامح ،المصدر نفسه، ص.ص،9-14.

استفزت المأساة ضمير فولتير وعندما شرع فولتير في تحري القضية، بعد محاكمة كلاس الأب، توصل إلى أن الوالد كان بريئاً، إذا يرى فولتير أن كل الحجج التي قدمت لإدانة أسرة جان كلاس غير حقيقية وهي ناتجة عن الغلو في التعصب للدين ، ويقول فولتير بهذا الصدد " لو أقترف تلك الفعلة لاحتاج ،لا محالة، إلى مساعدة زوجته وابنه بيير كلاس ،ولاقيس الشاب ، والخادمة ،ونغمس الجميع في الجريمة ،لأنهم لم يفترقوا على بعضهم لحظة واحدة ساعة وقوع تلك المأساة الرهيبة "[1] ومن الحجج الدامغة التي قال بها فولتير لتبرأة الأب كلاس ، اولا ان جان كلاس كان رجلا بروتستانتي صالح، لم يعارض قط تحول ابنه الى الكاثوليكية اولا كونه كان بعيد عن كل اشكال التعصب الديني، وثانيا كونه كان يستقبل في بيته خادمة كاثوليكية على مدى ثلاثين عاما،. فلو ان كلاس كان متعصبا لما تقبل بعيش فرد كاثوليكي تحت سقف منزله[2]. اما سبب انتحار انطوان هو سبب خسارة تعرض لها اثناء القمار، افقدته كامل ثروته.

كان هذا مختصر تفاصيل الحادثة الغريبة التي دفعت بعض الناس العقلاء غير المتحيزين، إلى القيام ببعض التأملات حول التسامح والرأفة، والرحمة ، أولهم فولتير.إنّ ما يهمنا من هذه الرسالة في التسامح لفولتير، نبذه للتعصب و تشريعه لمفهوم التسامح الذي لم يبق حبيس التصورات الذهنية ، بل تجسد على أرض الواقع من خلال المحاكمة جان كلاس التي كانت على مرأى حشود من الناس، وهذا ما جعل فولتير يوجه نقدا لاذعا على القضاة والتوابون البيض على حد تعبيره قائلا " إذا كان التوابون البيض هم السبب في إعدام إنسان بريء، وفي دمار أسرة وتشتتها وإنزال العار بها... وإذا كان التوابون البيض، بتعجلهم في تقديس شخص ما كان يستأهل بحسب عاداتنا الهمجية سوى أن تسحل جثته في الطرقات العامة، قد تسببوا في إعدام رب أسرة صالح،

[1] -الصدر نفسه ،ص.ص،15-16.

[2]- المصدر نفسه ص.10

فحري بهم أن يتوبوا حقا حتى نهاية أيامهم، عليهم هم والقضاة أن يذرفوا الدموع، ولكن من دون أن يرتدوا جبة طويلة بيضاء، ومن دون أن يضعوا على وجوههم قناعا يخفي هذه الدموع"[1]

لقد وجد فولتير في التعصب الأصل المنطقي لكل قضايا عدم التسامح والإضطهاد الديني ،وهذا التعصب في حقيقة الامر لم يأتي من الدين المسيحي، ولم يدعوا له لا المسيح ولا المسيحين الأوائل، بل كان نتيجة لتأويلات الغير المدروسة من قبل رجال الدين المتأخرين ، الذين جعلوا من دين المسيحي يدعوا الى القوة وإراقة الدماء. الأمر الذي أدى إلى تشكل الدوغمائية وبالتالي التنافر في تفسير وتأويل المفاهيم الدينية، واستنكار كل فرقة فهم الفرقة الأخرى فيما يخص طرق العبادة والخلاص.[2] وبالتالي فإن العنف الذي يحدث جراء عدم فهم الصحيح للمفاهيم الدينية ادى الى نتائج كارثية على المجتمعات الاوروبية وهذا ما أكده فولتير قائلا " إن العنف المسعور الذي يدفع إليه العقل اللاهوتي المغلق ، والغلو في الدين المسيحي المساء فهمه ، قد تسببا في سفك الدماء زفي إنزال الكوارث بألمانيا وبإنكلترا ، بل حتى بهولندا بقدر لا يقل عما حدث في فرنسا ."[3]

إن التعصب في نظر فولتير هو جنون ديني وهو مرض خطير يعدي العقل، ينتقل عبر خطابات رجال متحمسين دو فصاحة الكلام مضفين في خطبهم عبارات مشجعة كأن الله يراكم، جاهدو في سبيله وغيرها من عبرات اللامعة، فتأثر في السامعين من الناس ذو تفكير محدود، اذن فالتعصب قبل اي شيء هو مرتبط بالايمان بالخرافات، وليس هناك دواء لهذا الداء(التعصب) إلا الفكر الفلسفي الذي اذا انتشر أدى الى تحسين أخلاق البشر.[4]

ضرب فولتير عدة أمثلة لمجتمعات عرفت وعاشت التسامح كامجتمع اليوناني، والياباني والصيني. فحكام الصين مثلا "المعروف تاريخهم منذ أكثر من أربعة ألاف عام، لم يعتنقوا إلا دينا

[1]- المصدر نفسه، ص 21

[2]- محمد غانم ،مقال بعنوان في نقد التعصب الديني فولتير أنموذجا، فيلو كلوب ، تم النشر بتاريخ ،26-01-2019،تاريخ الزيارة 11-06-2021 ،على الرابط التالي : https://books.philoclub.net/2019/01/blog-post_1.html

[3]- فولتير،رسالة في التسامح ، المصدر سبق ذكره، ص 31

[4]- أندريه كريستون: فولتير حياته آثاره فلسفته، ،المرجع نفسه ، ص ص 122،123

واحدا وهو دين النوحيين، القائم على العبادة الخالصة للإله الواحد. لكنهم كانوا يغضون الطرف، مع ذلك، عند خرافات البوذية وطوابير رهبانها"[1] ، إذن ما هو المانع من ان يكون الأوربيين الكاثوليكين مثل الصنيين؟ لمذا لا نغض البصر على الأشخاص الذين يمارسون شعائرهم المختلفة؟هذا ما أراد فولتير الوصول اليه. فحتى أجداهم اليونانين قد مارسوا التسامح"فالإغريق... لم يعارضوا بالرغم من تدينهم الشديد... ومع ذلك كانت جميع وهذه الفرق مباحة أو مغضوضا النظر عنها" [2] . نفس الشيء بالنسبة لليبانيين فلقد كانوا "أكثر الناس تسامحا، فقد تعايشت اثنتا عشر ديانة بأمان في إمبراطوريتهم" [3]

لقد اراد فولتير تحقيق التسامح الكوني بين الناس،اي تعميم التسامح لجميع البشرية، وأن يجعل البشر جميعا إخوة وأن يعيش كل أصحاب الأديان والمذاهب بسلام جنبا إلى جنب تحت حماية الدولة . فيقول "ماذا؟ قد تجيبون، ايكون التركي شقيقي؟ والصيني شقيقي؟ واليهودي؟ والسامي؟ أجل بلاريب، أفلسنا جميعا أبناء أب واحد، ومخلوقات إله واحد؟"[4] . وبالتالي فإن التسامح في حقيقته لا يتحقق إلا إذا تسامحنا مع الأخر المخالف،وبعبارة اخرى فإن كلمة التسامح تكمن في تطبيقها مع الخصم والعدو، ونلاحظ ان فولتير قد استخدم كلمة 'تركي' وهي تعود الى المسلمين العثمانيين، واستهل كلامه بالأتراك دليل على انه كان متسامحا حتى مع العدو الذي يرى على ان دينه محرف وغير صحيح.وهذا ما لم يقم به جون لوك في طرحه للتسامح.والأجمل من كل ذلك أن فولتير ارجع جميع البشر الى رابطة الأخوة فجميعنا نتمي الى أدم وحواء.

وفي مقطع من أحد رسائل فولتير يقول " أقول هذا بمرارة ولكنها الحقيقة، نحن المسيحيين كنا الجلادين والمضطهدين والمجرمين، اضطهدنا من؟ إخواننا، فنحن من دمر مئات المدن، فعلنا ذلك والصليب أو الإنجيل في أيدينا، ولم نتوقف عن إراقة الدماء، وإشعال المحرقات منذ حكم

[1] -فولتير،رسالة في التسامح ،مصدر سابق، ص35-36

[2]- مصدر نفسه، ص49

[3]- المصدر نفسه، ص37

[4]- المصدر نفسه، ،ص163

قسطنطين إلى حدود فظائع اللحميين الذين يسكنون جبال سيفين، إنها فظائع لم تعد موجودة الآن بحمد الله" [1]، وشهد شاهد من أهله !! فولتير يشهد ويعترف بما سببه المسحيين من ظلم وسفك للدماء، وكان ذلك ابان الحروب الصليبية " ليعقد مقارنة خطيرة جدا بين سلوك الصليبيين عندما غزو القدس وبين سلوك صلاح الدين الأيوبي عندما دخل القدس ومقدار التسامح الذي أظهره مع النصارى والذي يختلف جذريا عن سلوك الصليبيين العدواني عند دخولهم للمدينة أول مرة وقتلهم سبعين ألف من أهلها دون أي جريرة أو ذنب".[2]

أغلب ما في الموضوع ان فولتير قد استخدم الإسلام ليبين أخطاء الأسس الثقافة المسيحية ، فقدم الإسلام كنموذج لإلهام الحكام الأوربين. فلا يحق للأوربيين فرض دينهم ومعتقداتهم بالقوة على بعضهم البعض او على الأمم الأخرى وعليهم تقبل ان الإسلام دين حقيقي موجود لا يمكن محوه. إن التسامح في خلاصة القول ،" لم يتسبب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية, في حين أن عدم التسامح قد عمَم المذابح على وجه الأرض"[3]،فالتسامح هدفه إصلاح الشعوب والحد من الفتن والنزاعات، على عكس عدم التسامح أو التعصب الذي بسببه تتنازع الشعوب وتؤدي في ارتكاب المجازر بين بعضها البعض.

ومن اهم الشعارات التسامح التي دعا اليها فولتير: "قد اختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد من أجل الدفاع عن رأيك، أنا امقت ما تكتب ولكنني على استعداد تام لأن أضحي بحياتي من أجل أن تستمر في الكتابة"[4].إذن فالتسامح الديني بإختصار هو حرية التفكير،حرية الإعتقاد،حرية الإيمان . ولكن السؤال المطروح هنا هل لمبدأ التسامح حدود؟ ام انه مطلق يمارس مع كل من هب ودب؟

[1]- وائل علي ،فولتير التسامح الكوني يشمل المسلمين تاريخ النشر،06-12-2016،اطلع عليه يوم : 09-06-2021،الموقع اللالكتروني: www.aljazeera.net

[2] وائل علي ،فولتير التسامح الكوني يشمل المسلمين تاريخ النشر،مرجع نفسه .

[3] فولتير، رسالة في التسامح، المصدر نفسه ، ص 39

[4] وفاء برتيمة، أبعاد التسامح الإنسامي في فلسفة فولتير، مرجع سابق ،ص509

صحيح أن فولتير قد كان ضد اضطهاد الأفكار والمعتقدات ، ومن أقوى المنادين بحرية الفكر التي لا تحدها حدود ، ولكنه جعل حدودا عندما يتعلق الأمر بشؤون الدولة والسياسة ، فحسبه انه من ضروري حصر الوظائف العامة والمراتب الرفيعة في من يعتقدون بدين الدولة ، لأنه كان يعتقد أن الدين ضروري لضبط الشعب ،وكما يقول جون هرمان ان عصر التنوير كان مستعدا للتسامح في أمر الإختلاف الديني ، لا السياسي .[1]

وبالتالي على الرغم من كل ما أضافه فولتير من أفكار ذات صدى وتأثير إلا اننا نجده قد وقع في تناقض مع نفسه فمرة يقول بضرورة تخلي عن الدين وفصله عن الدولة ، إعتبارا منه أنه يعد بؤرة الفتن والتعصب للمجتمع ، ومرة اخرى يقول بأن الدين ضروري لكل دولة وهذا واضح من خلال نبذه للإلحاد، ويندد بأن الدين هو مصدر سعادة الإنسان في هذه الحياة و هو من يقوم بتنظيم حياة أفراد المجتمع ، وفي النتيجة نقول أن فولتير يعد كغيره من فلاسفة الأنوار الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة لتعميم التسامح وللقضاء على التطرف والتعصب.وخلاصة القول هي أن مساهمات فولتير في اثراء التنوير الفرنسي كانت حاسمة بشكل كبير سواء بكتاباته أو بفكره ونضاله السياسي الذي جعل منه مرجعا مهما للتنوير.

[1] –محمد عابد الجابري،قضايا الفكر المعاصر، مركز الدراسات والوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1997،ص27.

# خاتمة

من خلال دراستي لهذا الموضوع توصلت للنتائج التالية:

-لقد شكل مفهوم التسامح فضاء اشكالي واسع تتقاطع صلبه مفاهيم عديدة، وولد في ثناياه أسئلة عديدة ، فهو من ناحية الحقل الدلالي العربي يجمع بين المحبة والحرية والتعايش والإختلاف، ومن حيث الحقل الدلالي الإصطلاحي هو مسرح للحروب الدينية التاريخية الكارثية بين البروتستانت والكاثوليك، كما ان ترسيخه لم يكن بالأمر السهل بل احتاج الى جهود اجتماعية وسياسية.

-إن مفهوم التسامح اصلي ومتجذر في أرض اوروبا، وذلك نتيجة الحاجة الملحة لاستقرار وأمن المجتمعات، حيث ولد التسامح من رحم العنف والتعصب الطائفي والمذهبي الذي كانت تمارسه الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى ضد أقليات الدينية المختلفة ، ما أدى الى حدوث إنفجار وولادت البروتستانتية كحركة دينية إنشقاقية، من رحم الكنيسة الكاثوليكية العالمية، على يد لوثر الذي لعب دورا هاما في حركة الاصلاح الديني .

-ارتكزت فكرة التسامح كقيمة اخلاقية ذات دلالات سياسية واجتماعية في ثنايا كتب فلاسفة من امثال جون لوك وبيل بايل اللذان كان لهما الفضل في إخراج مفهوم التسامح من حيز المعارك والحروب الدينية والاصلاح الديني ، ووضعوها في حيز التنظير والشرح ليتبعه التنفيذ بعد ذلك بسنين، ولهذا وجدنا لاحقا فلاسفة قد كتبوا نتاجات فكرية ونصوص فلسفية متخصصة تحت عنوان العريض "التسامح " ولا سيما مع الفيلسوف فولتير.

- حيث كان لمؤلفات فولتير الفضل والدور في إحداث انقلاب حقيقي ، انتقل فيه المجتمع الأوروبي من عقلية القرون الوسطى الكهنوتية المسيحية الكاثوليكية المتعصبة، الى عقلية العصور الحديث العلمانية الديمقراطية تدعوا الى الحرية والتعايش السلمي، أي انتقلت من مرحلة الهمجية المتعصبة الى مرحلة الحضارية العقلانية.

– كانت فلسفة فولتير التنويرية تصب في أغلب حالاتها في اتجاه الدعوة لتحقيـــق الســـلام والحرية، وبالأخص الحرية الدينية، والتعايش السلمي بين الأفراد داخل الدولة، بفضل مقولته الشهيرة ' اني اخالفك في الرأي ولكني مستعد للدفاع حتى الموت عن حقك في إبدائه'. وقد سعى فولتير بصدق في إشاعة روح وثقافة التسامح ، دون فتح اي سجلات عقيمة أو مناقشات قديمة حول إذا كان العنف يسبق التسامح أو الشر يسبق الخير، بل حارب التعصب الـــديني والظلـــم والجـــور، وبأفكاره الثورية التي لم يسبق لها أحد خاطر فولتير بحياته في أكثـــر مـــن مناســـبة ، وبدفاعـــه المستميت عن قضية عائلة جان كلاس ، المنتمية الى مذهب الأقلية البروتستانتية، وبرغم انـــه مـــن مذهب الأغبية الكاثوليكية الا انه دافع عنها وبشراسة لرفع الظلم عن صاحبها ولو بعد مصرعه.

–ان ما يميز فلسفة التسامح عند فولتير عن غيرها من فلسفة فلاسفة الغرب هـــو اهتمامهـــا بالسعي الى بناء تسامح عالمي كوني خال من الصراعات والقتال والدمار.

كما ونجد ان فلسفة فولتير تناقش الحدث اليومي الراهن الذي نحياه ونلتمسه فـــي الواقـــع المعاش ، خاصة من حروب طائفية كالتي في سوريا واليمن ولبنان وغيرها من الدول التي لم يكن بإمكان ايقاف حدوثها ، فقد كانت تعبيرا دقيقا عن فشل سياسي عميق اسهم في ايجاد مساحات واسعة من التعصب الإيديولوجي والتعصب القومي ، ومن هنا يستمد عملنا راهنيته في التسائل عـــن سبب غياب فضيلة التسامح بنفس الطريقة التي نادت بها فلسفة فولتير في مجتمعاتنا العربية، وهـــل سيأتي يوما ما تؤمن فيه جميع الشعوب بفكرة التسامح ؟.

# قائمة المصادر

# والمراجع

**المصادر:**


- فولتير، رسالة في التسامح، تر:هنريت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009.
- فولتير، كانديد أو التفائل، تر:آنا ماريا شقير، دار مكتبة الهلال ودار البحار،بيروت، ط1،2005.
- فولتير، رسائل فلسفية، تر: عادل زعتر، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2014.


**المراجع:**


- أندريه كريستون، فولتير حياته آثاره فلسفته، تر، صباح محي الدين، منشورات عويدات،بيروت، باريس، ط2 ، 1984.
- احمد علي علي عجيبة، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مكتبة المهتدين الاسلامية، طنطا، ط1، 1991م
- بسام جمال،الاصلاح الديني الحديث بأروبا مفهوما ومسارا تاريخا (مقاربة تفهمية نقدية)، مؤمنون بلا حدود.
- بسام اسخطيه ، قصة محاكم التفتيش في العالم،دار هبا للنشر والتوزيع،دمشق،ط1، 2000.
- ج.بيوري، حريةالفكر، تر:محمد عبد العزيز إسحاق، وكالة الصحافة العربية(الناشرون)، الجيزة حمهورية مصر العربية، (د.ط)،(د.س).
- ج.ويلتر،الهرطقة في المسيحية تاريخ البدع الدينية المسيحية ،تر: جمال سالم ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،(د.ط)، 2007
- جمال الدين الشرقاوي : الكنيسة وأسرارها السبعة ، مكتبة وهبة، بالقاهرة، ط 1، 2008.

- جوزيف لوكلير ،تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، تر:جورج سليمان ،مراجعة سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ،2009.
- جون دن ، جون لوك مقدمة قصيرة جدا ، تر:فايقة جرجس حنا ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ،د ط، 2012.
- جون لوك ، رسالة في التسامح، تر، منى أبو سنة، المجلس أألعلى للثقافة،إلسكندرية، ط1، 1997.
- سفر بن عبد الرحمان الحوالي ، العلمانية- نشاتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة-،دار الهجرة ،(د.بلد)،(د.ط)،(د.سنة).
- سلامة موسى، هؤلاء علموني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة (د.ط)، (د.س) .
- سمير خليل واخرون, التسامح بين الشرق والغرب- دراسات في التعايش والقبول بالاخر- تر: ابراهيم العريس،دار الساقي، بيروت-لبنان، ط1، 1992م.
- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار،التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،(د.ط)،1997 م .
- عبد العزيز سليمان نوار ، محمود جمال الدين،التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية ح.ع.2،دار الفكر العربي ،مدينة النصر،(د.ط)،1999م.
- عبد الرحمان حبنكة الميداني ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، دار القلم ، دمشق،ط2، 1991م
- عمر عبدالعزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992.

- عبد العزيز الخلق ،دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ،مكتبة أضواء السلف،المملكة العربية السعودية،ط1، 1998م
- عبد المنعم عباس ، جون لوك امام الفلسفة التجريبية،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،(د.ط)،1996
- فيوليت داغر، الطائفية وحقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، دار المستقبل العربي بيروت، (د.ط)،1995 .
- فريال حسن خليفة،الفلسفة والتسامح،مكتبة مدبولي ،القاهرة، ط.2006،1،.Books.google.dz.
- فولغين ،فلسفة الانوار، تر: هنريت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006.
- فاروق عبد المعطي،جون لوك من فلاسفة النجليز في عصر الحديث،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، ط1،1993،
- ليود سبنسر، اندرزيجى كروز، اقدم لك عصر التنوير، تر: إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005
- محمد عابد الجابري،قضايا الفكر المعاصر، مركز الدراسات والوحدة العربية ، بيروت ، ط1،1997.
- مراد وهبة ، مدخل الى التنوير ،دار العالم الثالث،مصر،ط1، 1994.
- مصطفى النشار ، فلاسفة ايقضوا العالم، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهدرة ، (د.ط)،1998.

- مهدي النجار، عرض كتاب رسالة في التسامح تأليف جون لوك، تر: عبد الرحمن بـــدوي، مجلة اراء وافكار، العدد628،الأحد، 26،اذار، 2006.ص12.
- محمود سعيد عمران ،حضارة أوروبا في العصور الوسطى ،دارالمعرفة الجامعـــة، بيـــروت ،(د.ط)،1998م.
- محمد ابو زهرة ،النصرانية،الرئاسة العامة لادارات البحـــوث العلميـــة والإفتـــاء والـــدعوة والإرشاد،(د.بلد)،ط.4، 1404.
- محمد بن احمد المفتي، نقد التسامح اليبيرالي، مركز البحوث والبيان، (د.ط)، (د.س).
- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة تر:محمود سيد أحمد،التنوير للطباعـــة والنشـــر والتوزيع،بيروت لبنان،ط1، 2010.
- ول ديورانت،قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون دوي-حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم ،تر : فتح الله المشعشع، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6، 1988.


**المقالات والمجلات العلمية:**


- الياس الدكار ، حقيقة التسامح الديني بين المسيحية والاسلام-دراسة تحليليةمقارنة-مجلـــة علوم الاسلامية والحضارة ،العدد02،الجزائر،2019/06/23.
- خالد البري،الحكمة الضائعة في الدين السياسي،الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية ،العدد 15359،الأربعاء /01/جمادي الاولى /1442ه
- صالح سالم،(خمسمائة عام على الاصلاح الديني.. مخـــاض الفرديـــة والقوميـــة والـــروح الرأسمالية) مجلة شـــؤون العربيـــة، عـــدد 173،دون البلـــد، 6. 03. 2018.PDF. https://arabaffairsonline.com

- صالح شقير وساطع نسيب رضوان: تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد36 ، العدد 5،تاريخ النشر2014/09/30.
- علي عباس مراد، فاتن محمد رزاق، التسامح في بعض الحضارات القديمة، كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية بجامعة المستنصرية، مجلة أبحاث العلوم السياسية، المجلد2012، العدد22، 31-31-كانون الأول-2012.
- محمد علي محمد عثمان (أستاذ في كلية الآداب .جامعة الزقازيق.مصر)،الحروب الدينية في اوروبا على مشارف العصر الحديث ،مجلة المحور .
- هرنون نصيرة ، تحولات معنى مفهوم التسامح من فلاسفة الأنوار الى ميثاق الامم المتحدة ، مجلة المعيار،المجلد 25 ،العدد2021،53،تاريخ النشر 15 /2021/01.
- هاشم صالح ، (مارتن لوثروالإصلاح الديني الكبير).مجلة الشرق الأوسط ، العدد [ 1422 ]، دون البلد،31،05، 2017. PDF، https://aawsat.com/home/article
- هاشم صالح،التسامح والحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مجلة مؤمنون بلا حدود لدراسات وأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة.
- وفاء برتيمة، أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 26،مارس 2018.


**الرسائل الجامعية:**


- مسدوة وهيبة: خطاب التسامح في فكر الأنوار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف ، حمادي أنور، جامعة السانية بوهران كلية العلوم االجتماعية والأنسانية، 2011/2010.

**المعاجم والقواميس:**


- ابن منظور ، لسان العرب،المجلد2، دار صادر، بيروت،(د.ط)،(د.س) .
- احمد زكي بدوي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية-انجليزي فرنسي- ،مكتبة لبنـــان ، (د.ط)، 2011
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د. ط)، 1982.
- رحيم ابو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج2،دار المحجة البيضـــاء، بيـــروت ،لبنان، ط1 ،2003.
- مجمـــع اللغـــة العربيـــة،المعجم الوســـيط،مكتبة الشـــروق الدولية،جمهوريـــة مصـــر العربية،،ط،2004.


**الموسوعات:**


- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل احمد خليل، دار عويدات، بيروت، ط2، 2001،
- عبد الله الحنفي، موسوعة الفلسفة، ج1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.3، 2010.
- عبد الرحمان البدوي ، موسوعة الفلسفة،ج2 ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1984.
- عبد الرحمن البدوي،ملحق موسوعة الفلسفة،ج1المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشـــر ،بيروت،ط1، 1996.
- عبد الرضا حسن الطعان،علي عباس مراد،وآخرون،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور،دار الروافد الثقافية الناشرون، بيروت-لبنان،ط1، 2015.

**المواقع الإلكترونية:**


- جعفر حسن الشكرجي، التفائل والتشائم عند فلاسفة عصر التنوير، كلية الـــأداب، جامعـــة بابـــل، 6/15/2011، اطلـــع عليـــه يـــوم : 2021/07/07 ،موقـــع الـــالكتروني www.uobabylon.edu

- شروق قصاص وآخـــرون، مقـــال :فـــولتير فيلســـوف عصـــر التنـــوير الاشـــهر،اعلام ومفكرون،الباحثون السوريون،تاريخ النشـــر31-01-2016،تـــاريخ الزيـــارة 11-06-2021، علـــــــــــى الـــــــــــرابط التـــــــــــالي: https://www.syr-res.com/article/9080.html

- صبري عادل ابراهيم ابراهيم، التسامح فريضة اسلامية،قسم الدراسات والبحـــوث، شـــبكة الألوكة، الرابط: http://investigate-islam.com

- محمد بدر، تاريخ الفكر السياســـي الغربـــي، جـــون كـــالفن، وكالـــة الأنبـــاء براثـــا، 12.07.2020،اخـــر زيـــارة للموقـــع: 7.06.2021،الموقـــع الـــإلكتروني : www.http://burathanews.com

- محمد غانم ،مقال بعنوان في نقد التعصب الديني فولتير أنموذجا، فيلو كلوب ، تم النشـــر بتاريخ ،26-01-2019،تـــاريخ الزيـــارة 11-06-2021 ،علـــى الـــرابط التـــالي : https://books.philoclub.net/2019/01/blog-post_1.html

- محمد زكريا توفيق، فولتير رائد من رواد فلسفة التنوير في القرن الثـــامن عشـــر، الحـــوار المتمدن-العدد: 3202 - 2010 / 12 / 1 - 18:49،اطلع عليـــه يـــوم ،09-06-2021،الرابط الإلكتروني: https://www.ahewar.org/deba

- وائل علي ،فولتير التسامح الكوني يشمل المسلمين تاريخ النشر،06-12-2016،اطلـــع عليه يوم : 09-06-2021،الموقع االلكتروني: www.aljazeera.net
- وائل علي نصر الدين، الحاجة الى بير بايل الداعية الى التسامح،اضاءات،28-06-2016، اطلع عليه 31-05-2021،الموقع الإلكترونيhttps://www.ida2at.com

# فهرس المحتويات

المـــــــــــوضوع

الصفحة

كلمة شكر

إهـــــــــــداء

**مقدمة** ..... أ- د

**الفصل الأول: التسامح من المفهوم إلى التاريخ** ..... 07

**المبحث الاول: في معنى التسامح** ..... 07

المطلب الاول: معنى التسامح عند العرب ..... 07

المطلب الثاني:معنى التسامح عند الغرب ..... 10

**المبحث الثاني: نشأة التاريخية فكرة التسامح** ..... 14

المطلب الأول :ارهاصات الأولى لفكرة التسامح(الأسباب) ..... 14

المطلب الثاني: الإصلاح الديني وميلاد فكرة التسامح ..... 19

**المبحث الثالث: نماذج من خطابات في التسامح.** ..... 25

المطلب الاول: بير بايل ..... 25

المطلب الثاني: جون لوك(1704)،(1632م) ..... 28

**الفصل الثاني: فلسفة التسامح عند فولتير** ..... 35

**المبحث الأول: الخلفية الفكرية لفلسفة فولتير** ..... 35

المطلب الاول: حياته ومؤلفاته ..... 35

المطلب الثاني: مصادره الفكرية ..... 38

**المبحث الثاني: فولتير بين السلطة الدين و الحرية** ..... 42

المطلب الأول: فولتير ضد خرافات الدين الكاثوليك ..... 42

المطلب الثاني: الحرية الدينية والايمان لدى فولتير ..... 45

**المبحث الثالث: التسامح الكوني كبديل للتعصب عند فولتير**..... 49

المطلب الأول: التسامح في روايات فولتير ..... 49

المطلب الثاني: التسامح الكوني في فلسفة فولتير ..... 52

**خاتمة** ..... 59

**قائمة المصادر والمراجع** ..... 62

**فهرس المحتويات** ..... 70